وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد - كلية العلوم الإسلامية

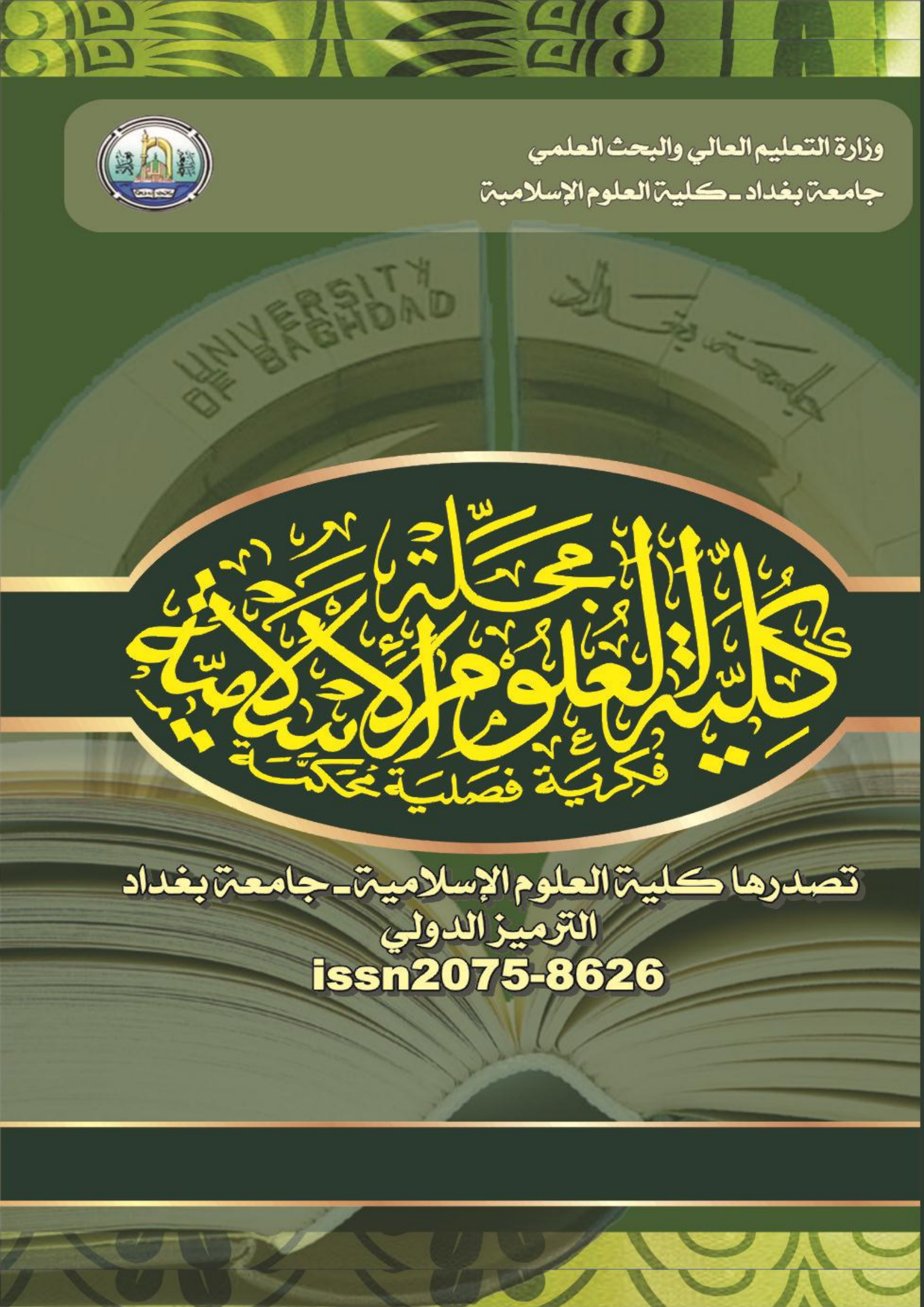

مجلة كلية العلوم الإسلامية

فكرية فصلية محكمة

تصدرها كلية العلوم الإسلامية - جامعة بغداد
الترميز الدولي
issn2075-8626

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد . كلية العلوم الإسلامية

مجلة كلية العلوم الإسلامية

علمية . فصلية . محكمة

تصدرها
كلية العلوم الإسلامية
جامعة بغداد

العـــــدد
(٤٥)

﴿ الجـــزء الاول ﴾

٢٠جمادي الآخر ١٤٣٧هـ / ٣٠ اذار ٢٠١٦م

ايميل المجلة : journal@cois.uobagdad.edu.iq

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٦٣٣) لسنة ١٩٩٦م

﴿ فهرس الموضوعات﴾

(الجـــزء الاول)

❁ كلمة العدد ..... ص ﴿١٢-١٣﴾

اسم البحث	اسم الباحث	رقم الصفحة
اشكالية فهم مسألة "ما أغفله عنك شيئاً" عند سيبويه	الاستاذ الدكتور محمد جواد محمد سعيد الطريحي الاستاذة سارة كاظم عبد الرضا	١٤ -٢٦
خصائص الخطاب اللغوي في القرآن الكريم	أ.م. د بلال عبد الستار مشحن	٢٧-٤٨
الدلالة الصوتية للتماثل الصامتي في صيغة (يتفعّل) في القرآن الكريم	أ. م. د. أشواق محمد إسماعيل النجّار	٤٩-١٠٨
أثر التعبير القرآنيّ في الصورة الشعريّة في الشعر المشرقي في القرن الثامن الهجري	أ.م.د . إسراء خليل فياض الجبوري م. م. أحمد عبد الله عذيّب	١٠٩-١٣٨
الدّلالة البيانيّة لـ (إنْ) و (إذا) الشّرطيّتين في سورة المائدة	أ.م.د. نافع سلمان جاسم	١٣٩-١٥٩
السياق وأثرُهُ في تَخَيُّر المفردة القرآنية دراسة تطبيقيةٌ في بعضِ آيات التكرارِ	ا. م. د. محمد فرج توفيق	١٦٠-١٨٩
احكام تغير قيمة النقود واثارها	د. احمد عبد الله اسماعيل الهاشمي	١٩٠-٢١٩
أحاديث العقل والتفكر كما جاءت في السُّنة النبوية وأثرها في السلوك الإنساني	الدكتور محمد صفاء جاسم	٢٢٠-٢٦١
أحكام الصلاة على الكراسي	د .صهيب سليم عمير الآلوسي	٢٦٢-٣١١
أحكام أخذ الأم أجرة الرضاع دراسة فقهية مقارنة	د. قاسم محمد حزم الحمود	٣١٢-٣٤٢

﴿ فهرس الموضوعات﴾

(الجـــزء الاول)

اسم البحث	اسم الباحث	رقم الصفحة
الإمام سعيد بن جبير وجهوده في الناسخ والمنسوخ	أ.د . زياد علي دايح	٣٤٣-٣٦١
قاعدة (حقوق الله -سبحانه وتعالى- مبنية على المسامحة والمساهلة وحقوق الآدميين مبنية على الشح والضيق) وتطبيقاتها في الفقه الجنائي.	الباحث: مايد أحمد عبدالله عبدول	٣٦٢-٣٨٧
تنظيم المجتمع وأثره على الأمن الاجتماعي	أ.م.د. عبد هادي القيسي	٣٨٨-٤٠٢
استدراكات ابن الانباري النحوية على أبي حاتم السجستاني من خلال كتابهِ إيضاح الوقف والابتداء	الباحث: مظر محمود يحيى	٤٠٣-٤٢٥
صلة الرُّتبة المقصديَّة باستعمال الأدلّة الحِكْميَّة دراسة أصوليَّة تحليليَّة	د. نجم الدين قادر كريم الزنكي	٤٢٦-٤٧٧
حديث أم زرع وأثره في السعادة الزوجية	الدكتور محمود دهام نايف العيساوي	٤٧٨-٥١٠
أنوار البيان في الجزء الأول من القرآن	الدكتور طالب خميس الوادي	٥١١-٥٣٦
رسالة للشيخ الجمل خاتمة البخاري للشيخ سليمان الجمل (ت ١٢٠٤ هـ) دراسةً وتحقيقاً	د. طـه حميد حريش الفهداوي د. عبد الجبار عبد الستار روكان	٥٣٧-٥٨٢
رسالة في تفصيل ما قيل في أبوي النبيﷺ لابن كمال باشا(ت٩٤٠هـ) دراسة وتحقيق	د. أحمد كامل سرحان	٥٨٣-٦١٤

أحاديث العقل والتفكر كما جاءت في السُّنة النبوية وأثرها في السلوك الإنساني

Talk of reason and reflection as it came in the Sunnah of the Prophet and their impact on human behavior

إعداد

الدكتور محمد صفاء جاسم

Mohammed Safaa Jassim

أحاديث العقل والتفكر كما جاءت في السُّنة النبوية وأثرها في السلوك الإنساني

ملخص البحث

إن للسُّنة النبوية الأثر البالغ في بناء السلوك الإنساني، وتكوين الفكر الإسلامي، فقد عملت على نشر العلم في كل مصر، بما حملته إلى الناس من تراث النبوة الخالد الداعي إلى حب العلم، فقد كانت مصدراً للمعرفة والحضارة.وإنَّ الحديث الشريف يحظى بأهمية كبرى في النظام الإسلامي، ويُعدُّ تعلمه وتعليمه غاية وضرورة لا يستغني عنها المسلم لفهم الإسلام، والعمل بأحكامه وتشريعاته، فهو نبعٌ سخيٌ، ومصدرٌ ثريٌ للأمةِ الإسلامية، دائمُ العطاء، ومتجددُ النفع، وهو ليس مصدراً للتشريع واللغة فحسب، وإنَّما هو مصدرٌ لإرشاد الفكر وتوجيه السلوك، وللحديث الشريف أهمية واضحة في تكامل الإسلام، وفي إظهار جوانب التكامل الإنساني في شخصية المصطفى ﷺ ، وقد اهتم المسلمون بالحديث – جمعه وتدوينه – ، وبذلوا من الجهد في ذلك قروناً ما يعجز الوصف عن ذكره وبيانه.

ولا تزال الجهود بحاجة إلى المزيد من الارتباط بنصوص الوحي والنهل من معانيها، وإن دراسة النظريات المتعلقة بالعقل والتفكر من أرقى الدراسات في ميادين البحث العلمي، تحقيقاً لقدر أكبر من التأصيل والمرجعية، وسعياً إلى التركيز على الأهم، وإعطاء كل أمر مقداره الشرعي، والاهتمام به على قدر اهتمام النصوص به.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي مجَّد العقل أحسن تمجيد، وكرمه أعظم تكريم، والصلاة والسلام على أعظم الفطناء، وسيد الأذكياء، وخاتم الأنبياء، إمام المرسلين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

فإن للسُّنة النبوية الأثر البالغ في بناء السلوك الإنساني، وتكوين الفكر الإسلامي، إذ عملت على نشر العلم في كل مصر، بما حملته إلى الناس من تراث النبوة الخالد الداعي إلى حب العلم، فقد كانت مصدراً للمعرفة والحضارة.

وتُمثل السُّنة المطهرة أحد المعالم الرئيسة بعد القرآن الكريم في إيضاح أسس التعامل الإنساني ومن واقع إلهي ثابت، فجاءت شرحاً لما غمض من أحكام الشريعة، حتى أصبحت تُشكل عمقاً فكرياً لحياة الإنسان المسلم، بما تحوي من نظم وأفكار تعجز عنها العقليات المتطورة من صياغتها بوصفها أنظمة حياتية.

فالسُّنة النبوية قد بيّنت من القرآن كل ما يحتاج إليه المسلم من قضايا العقيدة، والشريعة، والفكر، والسلوك.

وقد كانت السُّنة النبوية هي ميدان الفعل والعمل كما كان القرآن الكريم ميداناً للدعوة والتأصيل للفعل والعمل، فما من مبدأ من مبادئ القرآن الكريم إلا ونفذه الرسول ﷺ في مواقف حياته، وما من إشارةٍ ولا لفتةٍ إلا وتمثلها الرسول ﷺ في نفسه ووجدانه وسلوكه، فقد بلغت أهميتها غاية قصوى، لتحقيقها الأغراض الدينية بإبلاغ الدعوة وتثبيتها.

إنَّ الحديث الشريف يحظى بأهمية كبرى في النظام الإسلامي، ويُعدُّ تعلّمه وتعليمه غاية وضرورة لا يستغني عنها المسلم لفهم الإسلام، والعمل بأحكامه وتشريعاته، فهو نبعٌ سخيّ، ومصدرٌ ثريٌ للأمةِ الإسلامية، دائمُ العطاء، ومتجددُ النفع، وهو ليس مصدراً للتشريع واللغة فحسب، وإنَّما هو مصدرٌ لإرشاد الفكر وتوجيه السلوك.

وللحديث الشريف أهمية واضحة في تكامل الإسلام، وفي إظهار جوانب التكامل الإنساني في شخصية المصطفى ﷺ ، وقد اهتم المسلمون بالحديث – جمعه وتدوينه – وبذلوا من الجهد في ذلك قروناً ما يعجز الوصف عن ذكره وبيانه.

ولا تزال الجهود بحاجة إلى المزيد من الارتباط بنصوص الوحي والنهل من معانيها، وإن دراسة النظريات المتعلقة بالعقل والتفكر من أرقى الدراسات في ميادين البحث العلمي، تحقيقاً لقدر أكبر من التأصيل والمرجعية، وسعياً إلى التركيز على الأهم، وإعطاء كل أمر مقداره الشرعي، والاهتمام به على قدر اهتمام النصوص به.

يُعدُّ التفكر نتاج العقل المسلم في المعارف الكونية العامة، التي تتصل بالكون وخالقه والمجتمع والإنسان، والذي يعبر عن اجتهادات ذلك العقل في محاولته نقل الوحي الإلهي من حالة السكون والكمون إلى حالة الحركة والتغيير والبناء في إقامة الحضارة الإسلامية على أساس الإسلام نفسه في إطار ضوابط الأصول لكتاب الله تعالى وسُنّة نبيه ﷺ .

وإن التفكر عملية بدأت بتحرير الإنسانية من المحتوى الداخلي للإنسان نفسه إلى ما يتعامل معه؛ لأنه يرى أن منح الإنسان الحرية ليس أن يقال له هذا الطريق قد أخليناه لك فَسِر بسلام، وإنما يصبح الإنسان حراً حقيقة حين يستطيع أن يتحكم في طريقه، ويحتفظ لإنسانيته بالرأي في تحديد الطريق ورسم معالمه واتجاهاته، وهذا يتوقف على تحرير الإنسان فكرياً، الذي هو أساس الانقلاب الكلي، الذي يُنْشئ العملية التاريخية العظيمة وإليه يُعْزَى نشوء التاريخ وابتناء الحضارات.وقد قسمت بحثي هذا على مقدمة ومبحثين وخاتمة، وكل مبحث يحوي ثلاثة مطالب وهي كالآتي:

المبحث الأول: في بيان ماهية العقل والتفكر

المطلب الأول: تعريف العقل والتفكر لغةً واصطلاحاً

المطلب الثاني: حقيقة العقل

المطلب الثالث: أهمية التفكر

المبحث الثاني: نظرة السنة النبوية إلى العقل

المطلب الأول: علاقة العقل بالسلوك

المطلب الثاني: الأحاديث الشريفة التي بينت منزلة العقل والتفكر

المطلب الثالث: أثر أحاديث العقل والتفكر في السلوك الإنساني

وفي نهاية هذا البحث، فإني أرجو أن أكون قد وفقتُ فيه، وهذا هو مبلغ علمي، فإني لا أدعي الكمال لهذا البحث، فما كان صواباً فمن الله فأحمد الله تعالى على ذلك، وما كان خطأً فمن نفسي، ومن الشيطان، فأستغفر الله تعالى على ذلك، ورحم الله من دلّني على خطئي لأجتنبه، فما الكمالُ إلاَّ لله وحده.

وصلّى الله على سيّدنا محمّدٍ وعلى آلِهِ وصحْبِهِ وسلّم تسليماً كثيراً.

المبحث الأول

في بيان ماهية العقل والتفكر

المطلب الأول: تعريف العقل والتفكر لغةً واصطلاحاً

العقل لغةً: الحِجر والنُّهى، ضد الحمق، قال ابن الأنباري: رجل عاقل وهو الجامع أمره ورأيه، مأخوذ من عقلت البعير إذا جمعت قوائمه، وقيل: العاقل الذي يحبس نفسه ويردها عن هواها، أخذ من قولهم قد اعتقل لسانه إذا حبس ومنع الكلام، والعقل التثبت في الأمور، وسمي العقل عقلاً لأنه يعقل صاحبه عن الوقوع في المهالك أو يحبسه، وقيل: العقل هو التمييز الذي يتميز به الإنسان من سائر الحيوان.(١)

أما العقل اصطلاحاً فقد وردت له تعريفات عدة يصعب حصرها نقتبس منها ما يأتي:

- العقل يقال: للقوة المتهيئة لقبول العلم، ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة عقل.(٢)
- القوة المفكرة التي يدرك بها الإنسان حقائق الأشياء، وهو الذي استعد به الإنسان لقبول العلوم النظرية، وتدبير الصناعات الخفية الفكرية.(٣)
- غريزة يتهيأ بها إدراك العلوم النظرية، وكأنه نور يقذف في القلب، به يستعد الإنسان لإدراك الأشياء.(٤)
- ما يعقل به حقائق الأشياء، قيل: محله الرأس، وقيل: محله القلب.(٥)
- جوهر مجرد عن المادة في ذاته مقارن لها في فعله، وهي النفس الناطقة التي يشير إليها كل واحد بقوله: أنا، وقيل: العقل جوهر روحاني خلقه الله تعالى متعلقاً ببدن الإنسان، وقيل: العقل نور في القلب يعرف الحق والباطل، وقيل: العقل جوهر مجرد عن المادة يتعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف، وقيل: العقل قوة للنفس الناطقة وهو صريح بأن القوة العاقلة أمر مغاير للنفس الناطقة، وأن الفاعل في التحقيق هو النفس، والعقل آلة لها بمنزلة السكين بالنسبة للقاطع، وقيل: العقل والنفس والذهن واحد، إلا أنها سميت عقلاً لكونها مدركة، وسميت نفساً لكونها متصرفة، وسميت ذهناً لكونها مستعدة للإدراك.(٦)
- والعقل بالاشتراك يطلق على أربعة معانٍ هي:

أولاً: الوصف الذي يفارق الإنسان به البهائم، وهو الذي أستعد لقبول العلوم النظرية، وتدبير الصناعات الخفية الفكرية، وهو الذي أراده من قال: غريزة، وكأنه نور يقذف في القلب يستعد به لإدراك الأشياء.

ثانياً: ما وضع في الطبع من العلم بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات.

ثالثاً: علوم تستفاد من التجارب تسمى عقلاً.

رابعاً: إن منتهى قوته الغريزية إلى أن تقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة.(٧)

فالعقل قوة مدركة في الإنسان خلقها الله فيه، ليكون مسؤلاً عن أعماله.(٨)

ومما يلفت النظر: أن كلمة (العقل) كاسم جنس لم ترد في القرآن الكريم، رغم تنوع الخطاب القرآني في ذكر معاني العقل ودلالته ليشمل كل ما يتعلق بالعمليات العقلية من نظر وتأمل واستنباط وتعلم وتفقه وتبصر، إلى غير ذلك مما يؤكد أن النص القرآني قد استوعب كل معاني التفكير الإنساني.(٩)

والتفكر لغةً: قال الجوهري: التفكر التأمل، والاسم الفكر والفكرة، والمصدر الفكر، بالفتح، قال يعقوب: يقال: ليس لي في هذا الأمر فكر أي: ليس لي فيه حاجة، قال: والفتح فيه أفصح من الكسر، والفِكر والفَكْرُ: إعمال الخاطر في الشيء، قال سيبويه: ولا يجمع الفكر، ولا العلم، ولا النظر، وقد حكى ابن دريد في جمعه: أفكاراً، والفكرة: كالفكر وقد فكر في الشيء وأفكر فيه وتفكر بمعنىً، ورجل فكِّير، مثال فسِّيق، وفَيكر: كثير الفكر، ومن العرب من يقول: الفكر الفكرة والفكرى على فعلى اسم، وهي قليلة.(١٠)

وفكر في الأمر: أعمل العقل فيه، ورتب بعض ما يعلم ليصل به إلى مجهول، وأفكر في الأمر: فكر فيه فهو مفكر، وفكّر في الأمر: مبالغة في فَكَرَ وهو أشيع في الاستعمال من فَكَرَ، فالفكر: إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى المجهول، والتفكير: إعمال العقل في مشكلة للتوصل إلى حلها، الفِكَر: جمع أفكار، وهي تردد الخاطر بالتأمل والتدبر بطلب المعاني.(١١)

ومن يتتبع استعمالات القرآن الكريم للفظة (التفكر) ضمن السياق القرآني يجد معاني عدة منها: التأمل والتدبر، والعلم بالشيء، ولطف الإدراك، والاستدلال والاستنتاج، والتذكر والتخيل، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾.(١٢)

- وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾.(١٣)
- وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾.(١٤)

- وقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.(١٥)
- وقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾.(١٦)
- وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.(١٧)
- وقوله تعالى: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.(١٨)
- وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.(١٩)

أما التفكر في اصطلاح العلماء فهو:

- تحديق القلب إلى جهة المطلوب التماساً له.(٢٠)
- تصرف القلب في معاني الأشياء لدرك المطلوب، والتفكر سراج القلب يرى به خيره وشره ومنافعه ومضاره، وكل قلب لا تفكر فيه فهو في ظلمات يتخبط، وقيل: هو إحضار ما في القلب من معرفة الأشياء، وقيل: التفكر تصفية القلب بموارد الفوائد، وقيل: مصباح الاعتبار ومفتاح الاختبار، وقيل: حديقة أشجار الحقائق وحدقة أنوار الدقائق، وقيل: مزرعة الحقيقة ومشرعة الشريعة، وقيل: فناء الدنيا وزوالها وميزان بقاء الآخرة ونوالها، وقيل: شبكة طائر الحكمة، وقيل: هو العبارة عن الشيء بأسهل وأيسر من لفظ الأصل.(٢١)
- قوة روحانية بها يدرك الروح، ويعلم ويتأمل ويعقل ويفهم ويتخيل ويتذكر ويستنتج، ومظهر ارتباطها بالجسد الترابي هو الدماغ.(٢٢)

فالتفكر عملية عقلية تمكن الإنسان العبور من العالم المحسوس إلى خالق هذا العالم فيؤمن بأن لا إله إلا الله ولا رب سواه.(٢٣)

المطلب الثاني: حقيقة العقل

إن العقل هو القيمة الكبرى في الإنسان، وهو الطريق إلى الإيمان بالخالق ﷻ عن طريق التفكير والنظر والاعتبار في آيات الكون، وإنما كان العقل كذلك؛ لأن إحساسات النفس وخطرات الوجدان غالباً ما تكون غائمة غامضة تخضع لحكم الهوى، فيأتي العقل ميزاناً مقوماً للانحرافات والشذوذ والشطط التي هي النتيجة الطبيعية لتحكم النزعات والأهواء.

فالاعتبار الأول الذي ينبغي توافره كي يكلف الإنسان بالتشريعات الإلهية من فعل طاعات أو ترك منكرات هو أن يكون عاقلاً، فالمجنون ومن في حكمه من حيث عدم الأهلية لا يتوجه إليهم الخطاب بالحكم الشرعي وكما قيل: (إذا أخذ ما أوهب فقد أسقط ما أوجب) [٢٤] كما أن العقل هو سبب المسؤولية الكاملة لتحمل العقاب الدنيوي والأخروي، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾.[٢٥]

إن العقل هو الركيزة الأساسية في التقدم الإنساني والحضاري، فأي خطوة خطاها الإنسان في هذا المضمار هي نتاج النشاط الذهني، والتفكير الدؤوب المنبثق عن نعمة العقل التي أمد الله تعالى الإنسان بها.

فمن المتفق عليه أن العلم ليس المعلومات بل هو طريقة أو منهاج الكشف الدقيق العميق عن حقائق الوجود، وأن التقنية ليست الأجهزة والآلات بل عملية خلق في الأساس لتنمية الحياة والأحياء، ومن ثم نجد القيم الإسلامية لا تقف عند حد، ولا تريد للإنسان أن يضعف عند حد في عمليات الابتكار والإبداع.[٢٦]

وإن العقل هو سر تكريم الإنسان، وتفضيله على كثير من مخلوقات الله ﷻ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾.[٢٧]

قال ابن عباس رضي الله عنهما: " كرّمهُم بالعقل ".[٢٨]

إن أعلى مراتب السعادة الإنسانية هي السعادة التي تنشأ عن الحياة العقلية، لأن العقل هو الذي يميز الإنسان على سائر الكائنات، وسعادة كل إنسان إنما تقوم على ما تتميز به طبيعته.

وإن العقل كما يقول الغزالي: " هو مَنبَعُ العلم ومطلعُهُ وأساسُهُ".[٢٩]

فلما كان العقل هو مبدأ العلم ومصدره، لذا فإن الإسلام طالب الناس بالتعقل، وتنمية العقل لا تكون إلا بالعلم، وعليه فإن مطالبة الإسلام بالتعقل هي دعوة لطلب العلم، وقد جاء ذلك صريحاً في كتاب الله ﷻ وسنة رسول الله ﷺ قال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾.[٣٠] وجاء في الحديث الشريف عن النبي ﷺ أنه قال: " إذا أتى عليّ شمس يومٍ لا أزدادُ فيه علماً يقربُني إلى الله ﷻ فلا بورِكَ لي في طلوعِ شمسِ ذلك اليوم".[٣١]

والعقل هو ميزان التعادل في الإنسان، وسر الله فيه، فبه يتعرف الإنسان إلى خالقه، وبه يعرف نفسه، ويعرف مبدؤه ومنتهاه، ويعرف مكانه في الوجود الذي يحيا فيه.

إن الإسلام قد جعل العقل والاقتناع بالدليل والبرهان شرط للإيمان بالله ﷻ، إذ تميز الإسلام وانفرد بين سائر الأديان والمعتقدات باستخدامه العقل للدلالة على إثبات الخالق ﷻ، فهو لم يفرض عقائده على الناس فرضاً بل ناقش وعرض، وأثار الفكر والتفكير، وطالب بالبحث والتقصي، ونبهت الآيات القرآنية على غرس عقيدة الإيمان على أسس عقلية فطرية، وذلك كي يقتنع المتشكك، ويطمئن الباحث إلى أن العقائد التي دعا إليها الإسلام قائمة على أساس من العلم، وحتى حينما دعا الإسلام إلى الإيمان بالله ﷻ ووحدانيته كانت دعوته قائمة على طريق المنطق والعقل والمناقشة.

وإن النزعة العقلية الإسلامية واضحة تمام الوضوح في القرآن، ذلك أن الآيات التي تدعو الإنسان إلى التأمّل والتفكّر والتدّبر والاعتناء كثيرة هدفها الوصول بالإنسان إلى معرفة الحق، ومن ثم يصبح الإنسان عارفاً بأوامره فيتبعها، ومتفهماً لنواهيه فيتجنبها.

وإن الإسلام بدعوته إلى العلم وتحكيم يكون العقل قد قرر أصولاً تمنع من الجمود العقلي، وتحمي من التحجر الفكريّ وعلى رأسها تقريره أن العلم لا يقول عن شيء أنه حق إلا إذا قام البرهان اليقيني القاطع على ذلك، والحذر كل الحذر أن يجعل يقيناً ما ليس بيقين، أو أن ينزل الظنّ منزلة اليقين، وإنه من الضروري التفرقة بين ما هو حقّ وما هو ظنّ.

وإن المنهج العلمي في الإسلام يقوم على قواعد رئيسة لا تخضع للأهواء، ولا للغايات الخاصة، ولا للمطامع، فقرر الإسلام دستور العلم، ودعا إلى عدم الانخداع بالأوهام أو قبول الظنون، والقول بغير دليل، ودعا إلى إعمال العقل، وسؤال أهل الذكر، وإلى حرية النظر، وأنكر التبعية والتقليد.(٣٢)

والعقل في الإسلام أساس كل فضيلة، وفي القرآن الكريم وردت كلمة عقل كفعل في مواضع شتى وإن لم ترد كاسم، وهذا يعني أن العبرة ليست مجرد الخلايا الحية، وإنما ما تقوم به من وظائف، فهو جانب من جوانب الإنسان الذي من وظائفه الاعتقاد وإدراك المسؤولية وتحمل الأمانة والتدبر والنظر في الأمور ورؤيتها.

والعقل أساس التمييز بين الإنسان والحيوان من حيث تلقي العلوم النظرية، والتمييز بين الأشياء في الوجود على سبيل أن الاثنين أكثر من الواحد، وأنه ينضج أكثر بالتجارب ويقمع قوة الغريزة، ويعرف عواقب الأمور ويقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة وهو غريزة لا يعرف إلا بفعله في القلب والجوارح، وهو جوهر الإنسان لأنه يمنع النفس من متابعة الهوى ويتثبت وجود الباري وهو حجة على الإنسان.

وثمة تقسيمات عدة للعقل، فهناك عقل الغريزة أو الفطرة، وعقل الإيمان، ووظيفة عقل الغريزة البصر في أمور الدنيا في عامة بني آدم، وتكون عن هداية الطبع، ومن عمله الفطنة والكياسة، ومن حرم منه كان أحمقاً أو مجنوناً، أما عقل الإيمان فوظيفته البصر بأمر الآخرة، وهذا في الموحدين والمؤمنين من دون المشركين، وتكون عنه هداية الإيمان، وثمة تفاوت بين الناس في كلا العقلين.

والعقل يتوسط خواطر النفس والشيطان ويميّزها حتى تثبت الحجة على الإنسان ويكون مع الملك والروح ليوقع الفعل مختاراً وفي هذا مثار استيجاب العقاب والثواب، والإنسان يملك عقلاً تكليفياً إذا لم يكن مجنوناً، على أساسه يكون الثواب والعقاب ويملك عقلاً شرعياً وهو درجات طبقاً لمدى ضبط الإنسان لشهواته وهو يرتبط بالإرادة وتقويتها، ومخالفة النفس الأمارة بالسوء وتهذيبها.(٣٣)

وأول مقام العقل هو عقل الفطرة وهو الذي يخرج به الصبي والرجل من صفة الجنون، فيعقل ما يقال له ويميز بين الخير والشر، ثم عقل الحجة وهو الذي يستحق به العبد من الله الخطاب، وهذا يكون عند بلوغ سن الحلم، ثم عقل التجربة وهو أنفع الثلاثة وأفضلها، لأنه يصير حكيماً بالتجارب، يعرف ما لم يكن بدليل ما قد كان، ثم عقل موروث من الله تعالى إلى رجل حكيم عليم وقور، والعقل هو الذي يعقل النفس عن متابعة الهوى كما يمنع العقال الدابة من مرتعها ومرعاها.

والفرق بين العقل واللب أن الأول لتأييد النفوس ومعاملة أهل الدنيا، أما الثاني فهو العقل الموزون المطبوع بنور هداية الله، والعقل يعبر به عن العلم وسعة اللغة، أما أولوا الألباب فهم العلماء بالله، وليس كل عاقل عالم بالله وكل عالم بالله عاقل.

والعقل هو العلم بالمدركات الضرورية الحسية والنفسية، فالحسية كالبصر والسمع، والنفسية كالتمييز بين الوجود والعدم والحدوث والقدم، والعقل على ثلاث مراتب: مرتبة تدرك المعاني المجردة، ومرتبة تدرك الحواس، ومرتبة تدرك كلا الأمرين، وهو أساس الفضائل كلها، وهو يعرف حقائق أمور الدنيا والدين، وثمة تقسيمات أخرى للعقل إلى مكتسب وغريزي، وتقسيم آخر إلى عقل أول وكلي ومعاشي والعقل المعاشي نور موزون بالقانون الفكري، وتقسيم ثالث إلى عقل يراد به العلم بحقائق الأمور، ويقصد به مادة عقل على اعتبار أن العلم هو ثمرة العقل، وعقل يراد به المدرك من العلوم.(٣٤)

ومما سبق يتضح: أن العقل أساس كل فضيلة، لأنه يتلقى العلوم، ويميز بين الأشياء، ويستفيد من التجارب وله أثر في فعل الجوارح، ولذا فهو حجة على الإنسان، ومن فعله الفطنة والكياسة وهو وسط بين خواطر النفس والشيطان، وبين الهامات الملك والروح، ولذا فهو الذي يجعل الإنسان منوطاً بالتكاليف والثواب والعقاب، والناس متفاوتون في عقولهم من حيث عقل الفطرة وعقل الإيمان وعقل التجارب.

والعقل هو القوة المعنوية الغريزية التي حبا الله بها الذات الإنسانية، ويرى الفلاسفة، وتبعهم على ذلك كثير من علماء العصر الحديث، أن العقل ناتج من تفاعل الروح مع الجسم، في حين يرى علماء الإسلام أن العقل يخلق خلقاً مباشراً مستقلاً، ويودعه الله في الذات الإنسانية، ولا تأثير لهذا التعارض، فالذات الإنسانية كلها من خلق الله تعالى.

ويعد الجميع العقل أهم مكونات الذات الإنسانية – بعد الروح– لأنه مركز التفكير، والإرادة، والإدراك والاختيار، والاستدلال، والتمييز، والسلوك، ولذلك فهو في الإسلام مناط التكليف، ولا تكليف على من فقده، حتى يعود إليه ويستطيع الإدراك، واعتبره الجميع كذلك الوسيلة الأساسية لبلوغ الكمال الإنساني؛ لأن الإنسان من دونه يفقد النفع لذاته ولغيره.(٣٥)

والسنة النبوية تهتم بوظائف العقل وليس بتكوينه، لأن الوظائف هي الأساس، إذ لا فائدة لعقل لا يستخدم الاستخدام السليم، وسيأتي بيان ذلك لاحقاً.

والعقل البشري بطبيعته توّاق للمعرفة، فهو يريد أن يعرف كل شيء، ولكن هذا العقل محدود، لا يستطيع أن يستوعب ما هو مطلق، لذلك فإنه عندما يأخذ في التفكير في الأمور المطلقة كعلم الله تعالى، وإرادته، وقدرته، يتبدد ويتيه ويضيع، وعندما يبدأ في تحليل عالم الغيب يصاب باليأس والقنوط، ذلك لأن الإنسان عندما يفكر في هذه الأمور بعقله المجرد، فإنه كمن يستخدم أداة لمجال لم تصمم ولم تصنع له، كمن يستخدم العين لرؤية الكائنات الدقيقة من جراثيم وفيروسات وبكتريا وغيرها، فإنه سيعود ليقول: لم أجد شيئاً أو لا يوجد شيء، فينفي وجود موجود؛ لأنه استخدم أداة غير مخصصة لذلك.(٣٦)

فالعقل هو مركز التفكير، والإدراك، والفهم، والوعي، والتدبر، والشعور، وله القدرة على استعادة المعلومات واسترجاعها واستخدامها واستثمارها، وقدراته وإمكاناته، قابلة للنمو والتحسن والتطور بالمعرفة والخبرة، وبدونهما تبقى قدراته وإمكاناته محدودة، فإمكانات عقل المتعلم المثقف الواعي لا تتساوى مع قدرات عقل الجاهل الأمي المحدود

المعرفة، وإمكانات العقل ليست متساوية لدى جميع البشر، فقدرات الذكاء والتذكر مثلاً، تختلف من إنسان إلى آخر، وقد يكون هناك أناس محرومين كلياً من نعمة العقل، أو هي محدودة لديهم.

إن مهمة العقل الأساس تترابط وتتفاعل مع مهمة الحواس في اكتشاف المعرفة وبيانها واستخدامها، وليس في إيجادها، فهي موجودة فعلاً قبل اكتشافها، فالعقل والحواس كاشفة للمعرفة وليست موجدة لها؛ لأن موجدها هو الله تعالى، وكل إدراك حسِّيٍّ يتفاعل مع المكون العقلي، بحيث يحول العقل المدركات المحسوسة إلى مفاهيم مجردة، وبهذا تتكون المعرفة بعلاقة معقدة مترابطة متشابكة بين المعلومة والعقل والحس، لكن للعقل دور القيادة والريادة في توجيه الإدراك الحسي إلى المسالك التي يراها أقرب إلى الحقيقة وأكثر فائدة وجدوى في الوصول إليها.

وليس شرطاً أن يكون إدراك الإنسان للحقائق مطابقاً للحقيقة والواقع، فهو يبقى ظنياً واحتمالياً، ولذلك ينبغي اللجوء إلى الأسلوب العلمي التجريبي أو أسلوب الاتساق العقلي والمحاكمة الفكرية للتأكد من أن هذا الإدراك مطابق للحقيقة، ومن هنا تجرى التجارب ويعاد إجراؤها مراراً وتكراراً، بطرق مختلفة ووسائل متنوعة، ومتغيرات متعددة، يقوم عليها علماء متخصصون واعون، للوصول إلى درجة الجزم بأن المعرفة أصبحت يقينية لا يتطرق إليها الشك، وإذا ما طبقت وجاءت النتائج مطابقة لها وصلت إلى عين اليقين أو حق اليقين.(٣٧)

والإسلام يعد العقل من أهم ميزات الذات الإنسانية التي ميز الله بها الإنسان، وأهله بها للاستخلاف في الأرض، واعتبره مناط تكليف الإنسان، ومحور الثواب والعقاب، ولا يعد الإيمان خارج منطقة العقل والتفكير، وقرر علماء الإسلام أن العقل أساس النقل، فثبوت وجود الله تعالى إنما يعتمد على العقل، وصدق النبي ﷺ ثبت بالعقل، ومن فقد عقله فقد التكليف ورفع عنه القلم حتى يدرك، ولذلك يقول الرسول ﷺ : " قِوامُ المرءِ عقلُهُ ".(٣٨)

وفي حديث آخر: " ما تمَّ دينُ المسلمِ قطّ حتى يتمّ عقلُهُ ".(٣٩)

ويقول الحارث المحاسبي: " لكل شيء جوهر وجوهر الإنسان العقل ".(٤٠) ولا نجد أحداً من علماء المسلمين، أو فلاسفتهم إلا وله آراء تشيد بأهمية العقل ومنزلته ومكانته وعلوّ شأنه.

ولا نجد ديناً أعلى من شأن العقل، وأشاد بفضله، واعتنى بالاهتمام به، كما فعل الدين الإسلامي، الذي احتفل بإيقاظ الإدراك البشري، وتقويم منهجه، وصانه من التبدد والانحراف، يتمثل ذلك في القرآن الكريم والسنة النبوية، وممارسات علماء الإسلام.

ويهتم الإسلام بالعمليات العقلية والنشاط العقلي، من دون لجوء إلى استقصاء المكونات العقلية، فهذه العمليات من تعقل وتدبر، وتفكر ونظر، وتأمل وتبصر، وتذكر وفقه، وتأويل وتقويم، وانتقاء واختيار، وصولاً إلى العلم هي مركز الاهتمام، لأنها الجدوى الحقيقية للعقل، ومن دونها يغدو لا قيمة له وقد لا يذكر، ولذلك نجد القرآن الكريم يؤكد أن آيات الله ﷻ في الأنفس والآفاق، مبذولة لمن يستخدمون عقولهم مستثمرين العمليات العقلية.

ومن المعلوم أن العقل يعمل كلاً متكاملاً، وليس ملكات منفصلة، وهكذا يأتي نشاطه متكاملاً، فلا إرادة من دون تفكير، ولا تفكير من دون تدبر، ولا تدبر من دون تأمل وهكذا، ومن الواضح أنه لا يولد متكاملاً، وإنما يولد محدوداً، ثم ينمو ويقوى أو يتراجع ويضعف حسب الظروف المحيطة بالإنسان، وبحسب منهج التفكير الذي يستخدمه الإنسان، والوسائل والإمكانات المتاحة، ودوافع استعمال العقل والتفكير والحصول على المعرفة إلى غير ذلك، ومن هنا نجد معظم أبناء بلدان العالم الثالث المصنفين في المستوى المتوسط، يرتقون إلى درجة النبوغ والتفوق والإبداع، إذا انتقلوا إلى البلدان المتقدمة.[٤١]

المطلب الثالث: أهمية التفكرّ

يجسد التفكير نعمة عظيمة وهبها الله . تعالى . للإنسان ليتعرف عليه ويعبده، وليعمر الأرض ويقيم البناء الحضاري على هدي الرسالات النبوية، ولقد امتاز الإنسان بها وتفرد عن بقية المخلوقات، وهي نعمة لا ينفك عنها إنسان عاقل، ولا يتصور خلو الحياة الإنسانية منها لحظة من الزمن، ومن هنا تتجلى أهمية التفكير في حياتنا الخاصة والعامة، الدينية والدنيوية، العلمية والعملية، ومن هذه الأهمية تنبثق ضرورة مراجعة أساليب التفكير السائدة، لتحديد ما إذا كانت قادرة على تحقيق هدف العبودية الشاملة، أم أنها تحتاج إلى إعادة بناء وهيكلة، وذلك بعد القيام بعملية هدم للأساليب المغلوطة، وفل للقيود الذهنية، وتكسير للحواجز العقلية التي قد تعيق التفكير السليم والإنتاج الإبداعي.

والتفكير قضية معقدة من حيث ماهيتها، ومنهجيتها، وما يؤثر بها من الدوافع النفسية الذاتية والعوامل البيئية الخارجية، إن التفكير في حقيقة الأمر ليس مجرد منهجية جوفاء تهذر بها الألسنة، وتؤلف بها الكتب، وتنمق بها الدراسات، بل هو ما يسترشد به الفكر، وما يضيء به العقل، وما تنجذب إليه النفس من خطوات ذهنية، يحوطها انفعال صادق يروم العطاء والبذل ، وتزحمها رؤى متناثرة ، استجلبها تعلّم فطن وتأمل حاذق.

والتفكير عملية ذهنية تتأثر بالعامل النفسي سلباً أو إيجاباً، وبمدى الاقتناع بالقضية محل التفكير، فإذا ما تمتع الإنسان بصحة نفسية رائقة حال تفكيره في قضية توافرت أسباب اقتناعه بها، فإنه يندفع للتفكير فيها بحماس وانفتاح بطريقة قد توصل إلى الحل المناسب بعد توفيق الله ـ تعالى ـ له، في حين أنه قد يعجز ذلك الإنسان عن مجرد إقناع نفسه بأهمية استمراره في التفكير في تلك القضية في حالة اعتلاله نفسياً!! ويمكن تسمية تلك الحالة بـ " الانغلاق الذهني النفسي "، وربما يجد أحياناً أن لا مفر من هجر التفكير حينذاك والانهماك في عمل آخر ريثما تعاوده صحته النفسية.(٤٢)

والإنسان مهما اختلفت آراؤه وكثرت أو قلت تجاربه فهو شغوف بالمعرفة، محب للاستطلاع، دائب على التأمل والتفكير، لا يفنأ يخوض غمار المشكلات، ويصارع المعقد من القضايا والمسائل، باذلاً في سبيل المعرفة جهده ووقته وماله، سعيداً بما يلاقيه في سبيلها من تعب، فرحاً بما يزجيه لأجلها من وقت ومال؛ لأنه دائم التفكير والتواصل.(٤٣)

ويتعلم الإنسان عن طريق التفكير فحينما يفكر في حل مشكلة معينة فإنه يقوم في الواقع بنوع من المحاولة والخطأ ذهنياً، فهو يستعرض في ذهنه العلوم المختلفة للمشكلة، ويرفض الحلول الخاطئة أو غير الملائمة، ثم يختار الحل الذي يراه ملائماً وصحيحاً، فعن طريق التفكير يتعلم الإنسان حلولاً جيدة لمشكلاته، ويكتشف علاقات بين الأشياء والأحداث، ويستنبط مبادئ ونظريات جديدة، ويهتدي إلى ابتكارات واختراعات جديدة.(٤٤)

وفضلاً عمّا للتفكير من أهمية في حياة الإنسان العلمية والعملية، فإن له أيضاً أهمية عظيمة الشأن من الناحية الدينية ، فتفكير الإنسان الدائم بالله ﷻ وبفضله ونعمه الكثيرة وآلائه التي لا تعد في الحياة، وبالآخرة ويوم الحساب وما ينتظره من ثواب أو عقاب، أن تذكر ذلك كله مهم للإنسان؛ لأنه يدفعه إلى التقوى والعمل الصالح والتحلي بفضائل الأخلاق.(٤٥)

وعلى هذا فإن عملية التفكر لا تحدث إلا عند أولي الألباب، فأولو الألباب هم الذين يمتازون بالقدرة على التفكر في خلق السماء والأرض، وهم الذين يستفيدون في عملية التفكر من خبراتهم السابقة وإدراكاتهم الحسية للمخلوقات التي يتفكرون فيها، ولكنهم يضيفون إلى ذلك عاطفة جيَّاشة وخشية صادقة لله سبحانه وتعالى، وعندئذٍ تصبح خشية الله جزءاً من حياة الإنسان، ويعد كل ما يراه محركاً للتأمل، فيصل إلى مرحلة الشهود، إذ يرى كل شيء بيد الله خاضعاً لإرادته.(٤٦)

ومن أبرز خصائص عملية التفكر: أنه لا يصل إليها إلا المؤمن، والقرآن لم يشر إلى نجاح غير المؤمنين في هذه العملية العقلية في أيٍّ من آياته، وأما الخاصية الثانية: فهي أن التفكر عملية ذات صبغة شمولية، فأولو الألباب الذين امتدحهم القرآن الكريم يتفكرون في خلق السموات والأرض، وهم لا يكتفون بالتفكر في جوانب محدودة من خلق الله ﷻ بل يفكرون فيها كلها، أما الخاصية الثالثة لعملية التفكر: فهي أنها تشمل على جانب قلبي، فالذي يتفكر يخشع لله ﷻ ، فالذين يتفكرون هم أكثر خشية لله من الأفراد العاديين، وثمة علاقة متبادلة بين التفكر والإيمان، فالذي يتفكر يزداد إيماناً، والإيمان يؤدي بدوره ازدياد عملية التفكر.(٤٧)

وكان النبي ﷺ يجلس في غار حراء يتفكر في خلق السموات والأرض والملكوت، فقد جاء في وصف النبي ﷺ أنه كان دائم الفكرة، ليست له راحة، طويل السكوت، لا يتكلم في غير حاجة.(٤٨)

ومما هو معلوم أنه إذا حدث الفكر حدث العلم، وإذا حدث العلم تغير الحال وتغيرت أعمال الجوارح إلى الأفضل، والعلم الناتج عن الفكر مفتاح الخيرات كلها، فالإنسان حينما يفكر في الآخرة مثلاً يتغير قلبه وتتبدل إرادته، ثم تتغير أحوال الجوارح، وهذا يحدث في خمس مراحل هي: التذكر فالتفكر فالمعرفة فتغير حال القلب فتغير حال الجوارح.

وتفكر الإنسان في نهايته علاج لأمراض النفس كالعجب والكبر والتكبر، وتفكر الإنسان في بدايته الضعيفة وزوال كل مدعاة للتباهي، يعالج تلك الأمراض النفسية أيضاً.

والتفكير يبعد الإنسان عن مخازي الشيطان، حينما يتفكر فيما سبق من ذنوبه فيستغفر ربه، والتفكر يعين على عبادة الباطن، التي تقوي العبد على أداء الطاعة، وهو يؤنس من الوحشة، ويستعان به على الوحدة، وهو مفتاح الحكمة التي يعلو صاحبها الوقار، وهو يبعد صاحبه عن التهمة، وينبه من ساعات الغفلة، والتفكر يقوي سلطان العقل والمعرفة والعلم، وبالنتيجة يُشحذ الذهن ويقوى القلب، ويتوجه إلى الله وتظهر العزيمة على عدم المعصية، وبعدها تجد النفس زاجراً لها عن المعاصي.(٤٩)

ومما سبق يتضح: أثر التفكر والتدبر والتذكر على العقل والذي ينعكس بالنتيجة على تهذيب النفس وعلاجها من الأمراض والرذائل كالكبر والغرور وغيرها، كما يؤدي التفكر أيضاً إلى طهارة القلب والجوارح، وبعدها تتهذب أخلاق الإنسان بصفة عامة.

وقد حثت السُنة النبوية على استعمال العقل، وأثنت على من يستعمله، والإسلام دين يقوم على الاعتقاد بإله واحد ونظرة كونية شاملة، والاعتقاد منبعث من التفكير والشعور، وهو يتوافر في كل من يستعمل العقل بصرف النظر عن أصله، أو لونه، أو عرقه، أو ثروته، فهو يقوم على أساس شخص، وهو مكتسب غير موروث، وهو يكتب بأعمال الفكر والنظر والبصر والتأمل، والإدراك الذاتي من دون تلقين، والإسلام لا يقر العقيدة القائمة على الإكراه من دون الإقناع، ولا الإيمان القائم على التلقين من دون الفهم الذاتي، ومن هنا كانت للفرد مكانته، إذ إن الإسلام عد العقيدة فردية، قائمة على اقتناع الفرد، ولذلك كانت البيعة للإسلام فردية، أي: أن كل فرد يبايع الرسول شخصياً، بل حتى النساء كنّ يبايعنه شخصياً، ولا يجزي أن يقوم شخص بمبايعة الرسول ﷺ عن غيره، وقصد الإسلام في ذلك أن يؤكد على مكانة الفرد ويعمل على تحريره من قيود الجهل، أو التقاليد البالية الموروثة، ويجعله حراً في التفكير، ومسؤولاً عمّا يفكر، فالمسؤولية فردية وفي الوقت ذاته تربوية نفسية.(٥٠)

فالفكر والتفكير من الوسائل الموصلة لمعرفة الخالق ﷻ إن أحسن المسلم استعمالها، والإنسان المؤمن يشعر بخلق الله وإبداعه، ويعبده وهو يعمل، ويعبده وهو يفكر، والإسلام عندما أراد تصحيح الفكر أراد تصحيح السلوك وتصحيح العمل، ففساد الفكر يعني فساد السلوك.

وإن التفكير الواقعي في معالجة شؤون الناس هو الذي أنجح الإسلام قديماً، وجعل الناس يدخلون في دين الله أفواجاً، أما مُعظم مُسلمي اليوم فأبعد شيء عن قضايا الشعوب المصيرية الشاملة.(٥١)

وحينما يتعطل تفكير الإنسان، فإنه يفقد أهم وظائفه التي يتميز بها عن الحيوان، ويصبح من السهل وقوعه في الخطأ، ولذلك فإن الإنسان في حالة الغضب يكون فريسة سهلة للشيطان يقوده إلى ارتكاب كثير من الأخطاء من أقوال وأفعال، يندم عليها إذا ما هدأ غضبه، وعادت إليه قدرته على التفكير السليم.(٥٢)

وبما أن العقل هو امتياز الإنسان وخاصته وشرفه، وأنه مناط التكليف والخطاب الإلهي، وبما أن التفكير والاجتهاد هما رسالة العقل، لذلك كله فإن التفكير فريضة إسلامية، وإن تربية العقل الذي هو أداة التفكير فريضة إسلامية أيضاً.(٥٣)

وما دام التفكر ذروة سنام العمليات العقلية، فإن التربية لا تستطيع تجاهله، ويصبح لزاماً على المربين بذل أقصى الجهود التربوية الملائمة لنمو عملية التفكر، وهذا يتم عن طريق التأكيد على الجانب الإيماني، فالإيمان الذي يمتدحه القرآن هو القائم على حسن التفكر فيما خلق الله ﷻ.(٥٤)

وفي السنة النبوية توجيهات وتطبيقات متكررة هدفها تدريب الإنسان على التفكير الجماعي الذي يربط مصير الفرد بالجماعة ومصير الجماعة بالفرد، ويجعل تبادل الرعاية بين الطرفين صفة لازمة للمجتمع الراقي، والتوجيهات المتعلقة بهذا الشأن كثيرة جداً من ذلك قوله ﷺ : " كُلُّكُمْ راعٍ وَكُلُّكُمْ مَسؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ".(٥٥) وقوله ﷺ: " مَثَلُ المُؤمِنينَ في توادِّهمْ وتَراحُمِهِم وتَعاطُفِهِم كَمَثَلِ الجَسَد الواحِدِ إذا اشْتكى مِنهُ عُضْوٌ تَداعى لَهُ سائرُ الجَسَدِ بالسهرِ والحُمَّى ".(٥٦)

ويلحق بذلك تظافر التفكير الجماعي ليتجسد في مبدأ الشورى، ومثال القوم الذين ركبوا سفينة وإنهم جميعاً مسؤولون عن سلامتها وتوفير حاجات بعضهم لبعض من الماء وغير ذلك.

المبحث الثاني

نظرة السنة النبوية إلى العقل

المطلب الأول: علاقة العقل بالسلوك

تعد التربية عملية قصدية تهدف إلى تنشئة الإنسان المتكامل، وأن العقل أحد المكونات الأساسية للشخصية الإنسانية، لذا فإن التربية العقلية ميدان رئيس من ميادين التربية والسلوك، فالعقل هو الذي يمكن المرء من معرفة بناء العالم الذي يحيط به، ذلك أن العقل ينظم الاستجابة التي تنتقل إلى داخل سلوك الإنسان مروراً بالحواس، بل إنه يقوم بأكثر من ذلك، فهو الذي يصحح الحواس عندما تقع في الخطأ، فالعين ترى العصا مكسورة في الماء، وتحسب السراب ماء، والعقل هو الذي يدرك حقيقة الظاهرة التي أدت إلى انكسار الضوء في الماء، وتلك التي أدت إلى عدم التمييز بين الماء والسراب، فمن هنا تتضح علاقة العقل بالسلوك، ويمكن القول: بأن تربية وتوجيه سلوك من لا عقل له عملية في غاية الصعوبة إن لم تكن مستحيلة، ومع أن نجاح التربية يتوقف – إلى حد كبير – على العقل، إلا أنه يمكن القول: إن تنمية العقل تعتمد على السلوك، فالمربي الذي يعود طلابه على الحفظ الأصم يقف حجر عثرة أمام تنمية عقولهم، بخلاف الذي يحث طلابه على التفكير والابتكار، والتربية التي توهم الإنسان أن عقله هو السيد المطلق في هذا العالم تزرع في نفسه الغرور والتمرد، وهي بلا شك تختلف اختلافاً جذرياً عن التربية المؤمنة التي هي بمنزلة العقل وتضع له حدوداً معينة لا يحق له أن يتجاوزها، فشتان ما بين تربية ترفض كل ما لا يستطيع العقل دراسته عن طريق الملاحظة والتجريب، وتربية تعترف بالعقل التجريبي في المجالات التي يمكن التجريب فيها، وترفض التجريب عندما يتعلق الأمر بالعالم الآخر الذي لا يخضع للتجريب.[٥٧]

وفي الإنسان قدرات عقلية كامنة – كالقدرات الجسدية – يستطيع عن طريقها التعرف على البيئة القائمة من حوله بمكوناتها وأحداثها، ثم خزن تلك المعارف وتمييزها واسترجاعها وتوظيفها في الوقت المناسب طبقاً للمواقف والمشكلات التي يمر بها في أثناء مسيرة الحياة.

وتعبر القدرات العقلية عن نفسها في السلوك الظاهري عن طريق القدرة على التدبير: أي تدبير أمور المعاش في حياة الأفراد والجماعات، وتتخذ قدرة التدبير هذه حالات ثلاث، الحالة الأولى: تدبير لجلب ما هو نافع وصائب، ولدفع ما هو ضار خاطئ، ويسمى صاحب هذه القدرة عاقلاً حكيماً، والحالة الثانية: ضعف في قوة التدبير على جلب ما هو نافع

صائب، وعن دفع ما هو نافع صائب، وعن دفع ما هو ضار خاطئ، ويسمى صاحب هذه الحالة – أبلهاً سفيهاً –، والحالة الثالثة: طغيان في قوة التدبير لتعمل على جلب الضار الخاطئ، وإعاقة ما هو نافع صائب، ويسمى صاحب هذه الحالة – مخادعاً وماكراً سيئاً –.(٥٨)

والذي يهدف إليه السلوك الإنساني هو تنمية الحالة الأولى إلى درجة النضج، وتزكية الأفراد والجماعات من الحالتين الثانية والثالثة.

وتتفاوت القدرات العقلية قوة وضعفاً من شخص إلى آخر، أو عند الشخص الواحد في أثناء مراحل حياته – تماماً كالقدرات الجسدية – فقد تقوى حتى تخترق بيئة الكون الكبير فتتعرف على مكوناته وتقف على أسرار قوانينه، وتسخر هذه المكونات والقوانين بحسب الأهداف والحاجات التي يتوجه إليها صاحب هذه القدرات، وقد تضعف هذه القدرات العقلية حتى يعجز الإنسان عن فهم ما يجري في بيئته البيتية والإقليمية المحدودة فيسخره وتتقاذفه الأحداث والأهواء، وقد تنطفئ هذه القدرات العقلية حتى لا يعود الإنسان يعرف من أمره شيئاً.

والإشارة التي وردت في القرآن الكريم إلى القدرات العقلية إنما جاءت بصيغة – الفعل – وليس الاسم وبوصفها وظيفة من وظائف القلب وفعل من أفعاله التي تجري داخل الإنسان قبل أن تتحول إلى ممارسات حسية على أعضائه الخارجية، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾.(٥٩)

فالعقل إشارة إلى وظيفة وليس إلى شيء قائم بنفسه، مثله مثل وظائف الفهم والأكل والشرب والهضم، والنوم والقيام والقعود والركض والقفز، وإنه يعتريه نفس الأحوال التي تعتري هذه الوظائف من نشاط وعجز وهكذا.

والإنسان يولد مزوّداً بهذه القدرات العقلية – كبقية القدرات التي ذُكرت – ولكنها تكون في حاجة للتنمية وإلى تدريب الإنسان على حسن استعمالها ورعايتها، وتتقرر درجات نموها ونشاطها وصحتها ومرضها بحسب نوع السلوك الذي يتلقاه الإنسان، وطبقاً لوعي القائمين على تربية هذه القدرات وخبراتهم، وطبقاً للوسائل التي تستعمل لتنميتها واستعمالها وللبيئة الاجتماعية والثقافية التي تعمل فيها، ونجاح السلوك في هذه المهمة يحقق الصواب في العمل الذي هو أحد الشرطين الرئيسين لبروز العمل الصالح، ولذلك يتسبب السلوك الخاطئ والبيئات غير السليمة في إضعاف هذه القدرات أو تحطيمها أو تحليلها إلى معوقات للإنسان وسببٍ من أسباب تخلفه وشقائه.

والإشارات التي وردت تدل على أن القدرات العقلية درجات متفاوتة وأن لكل درجة وظيفتها وأثرها في سلوك الإنسان ومواقفه من الخبرات التي يمر بها، وأن هذه القدرات يجب أن تستعمل طبقاً لمنهج معين هو ما نسميه بـ(منهج التفكير) الذي يتضمن ثلاثة أقسام رئيسة هي: خطوات التفكير، وأشكال التفكير، وأنماط التفكير، وأن هذه القدرات يجب أن تنمى بكيفية معينة وعن طريق أدوات ووسائل خاصة.(٦٠)

وتدعو السنة النبوية العقل للتفاعل مع السلوك الإنساني والاستفادة من خبرات وتجارب الآخرين، وتحرص على مد جسور الاتصال والتبادل الثقافي والمعرفي مع الثقافات الأخرى، واختبار ما لديها من علوم ومعارف، وتعد ذلك مصدراً من مصادرها، ومعيناً يرفدها بالثراء المعرفي والثقافي والتربوي، فقد جاء في الحديث الشريف " الحِكمةُ ضالّةُ المؤمنِ فحيثُ وجَدَها فهو أحق بها ".(٦١)

فالعقل في السنة النبوية دليل الوحي ومكان استجابته، وهو مناط التكليف، وسند الحقيقة الدينية، لذلك اهتمت به السنة النبوية وأعلت من منزلته ومكانته، وحررته من قيود الأوهام والخرافات والأساطير، وربطت بينه وبين الوحي في علاقة تكاملية تزاوجية، لا تعارض فيها بين صحيح المعقول وصريح المنقول، وإن أي تعارض إما أن يعود لضعف في سند المنقول، وإما لخطأ في عملية الاستنباط والاستدلال، وعند احتمال وجود التعارض فإن حكم الوحي المعصوم مقدم على استدلال العقل المظنون.(٦٢)

المطلب الثاني: الأحاديث الشريفة التي بينت منزلة العقل والتفكر

العقل هو الهبة الإلهية التي ميز بها الخالق ﷻ الإنسان عن بقية المخلوقات وهو من أخص الصفات الإنسانية، التي لا يشاركه فيها أي مما يحيط به من المخلوقات.(٦٣)

فبالعقل عرف الإنسان ربه، وبالعقل ارتقى الإنسان من رتبة مخلوق وحيوان إلى رتبة مكلف عند الله، كلفه ربه أن يكون خليفة في الأرض ، يعمل على عمارتها، ويتلقى الأوامر من ربه فينفذها، ثم يرفع إليه نتيجة عمله، ويتصل به يومياً، فيدعوه ويناجيه، حتى إذا بلغ السن المقدر له نقله ربه إلى يوم يحاسبه فيه، فإن قام بواجبه أدخله جنته يتنعم بها أبدً، وإن أساء وظلم أدخله جهنم يلقى بها جزاءه.

ولهذا وجب على الإنسان أن يعرف ربه حق المعرفة، وأن يتعلم أوامره ونواهيه، وأن يعرف واجبه في هذه الحياة وما سيلاقيه في مستقبله وآخرته، فإن الطريق ممهد سهل لمن علم وعمل، وهو الطريق الشاق العسر لمن جهل وأساء العمل، كما أن النتيجة هي سعادة الأبد أو الشقاوة الدائمة.(٦٤)

لقد أطلق الإسلام العقل من أسر الأغلال، وأعطاه القيود لينظر ويتفكر ويتدبر بعيداً عن سطوة العادات والتقاليد والأهواء والميول، وشرفه الله ﷻ بالخطاب وجعله مناط التكليف.(٦٥)

قال رسول الله ﷺ: " ما اكتسب رجل ما اكتسب مثل فضل عقل يهدي صاحبه إلى هدى ويرده عن ردى، وما تم إيمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله".(٦٦)

وقال ﷺ: " كرم المرء دينه ومروءته عقله وحسبه خلقه ".(٦٧)

وقال ﷺ: " إن الرجل يدرك بحسن خلقه درجة الصائم القانت، ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله فعند ذلك يتم إيمانه ويطيع ربه ويعصى عدوه إبليس".(٦٨)

مما سبق يتبين أن العقل هو جوهر الإنسان ومعبر هدايته، والعقل هو الوسيلة الأساسية لتصور الوجود – بمكوناته – وفهم غاياته، والعقل يؤدي أبلغ الأدوار في سعادة الإنسان، وظلام العقل هو السبب الرئيس في شقاوة البشر.(٦٩)

والعقل أوثق شيء يرتبط بالتأمل المطلوب، إذ هو أداة ذلك التأمل وآلته، ولذلك كانت دعوة الإسلام إلى الربط بين الإيمان والتأمل في صنع الله، دعوة في الوقت ذاته إلى استعمال العقل.

وقد أيد الدين دعوته تلك بطرق مختلفة أخرى، يمكن حصرها في أربعة هي:

١- الدعوة إلى الشعور بوجود العقل، وبمكانته في الإنسان، ووخز النفس – أحيانا – ليحصل لها ذلك الشعور المرغوب فيه.

٢- المطالبة باستعمال هذا العقل.

٣- تحريم إتلافه بأي سبب.

٤- التنديد بتعطيله إذا كان قادراً على أداء وظيفته.(٧٠)

وبين الرسول ﷺ منزلة العقل في الإنسان وأهميته، إذ إن الله سبحانه لم يخلق شيء أفضل منه، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: " لما خلق الله العقل قال له قم فقام، ثم قال له أدبر فأدبر، ثم قال له أقبل فأقبل، ثم قال له أقعد فقعد، ثم قال له ما خلقت خلقاً هو خير منك ولا أفضل منك ولا أحسن منك، بك آخذ وبك أعطي، وبك أعرف وبك أعاقب، بك الثواب وعليك العقاب".(٧١)

وقال ﷺ: " الناس يعملون بالخير، وأنهم يعطون أجورهم يوم القيامة على قدر عقولهم ".(٧٢)

وقال ﷺ : " لا يعجبنكم إسلام امرئ حتى تعلموا عقدة عقله".(٧٣)

وقال ﷺ: " لكل شيء دعامة ودعامة المؤمن عقله، فبقدر عقله تكون عبادته".(٧٤)

فما تم دين أحد إلا بالعقل، وما عبد الله بشيء أحب إليه من العقل، ويمثل العقل دعامة الإنسان، وعلى قدر عقله تحسن سيرته، وتكون عبادته، ويكون الاقتراب من الكمال ويكون الجزاء.(٧٥)

وقال ﷺ: " قوام المرء عقله ولا دين لمن لا عقل له".(٧٦)

وعنه ﷺ أنه قال: " إن الرجل ليكون من أهل الجهاد ومن أهل الصلاة ومن أهل الصيام وممن يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر وما يجري يوم القيامة أجره إلا على قدر عقله ".(٧٧)

فللعقل منزلة مميزة في الإنسان ميزه الله عن باقي المخلوقات بهذا الجوهر العظيم في نفسه، فبه يدرك الأشياء من حوله، وبه يعبد الله ربه، ولا يشرك به شيئاً، وبالعقل يتعلم الإنسان السلوك الصحيح، والعلم النافع، فكان العقل ذا قيمة عليا في الإنسان وهذا مما لا ينكره أحد.

والعقل في الإسلام لم يكن ورقة بيضاء قابلة للأخذ فقط بل توفر لديه الاستعداد للرفض والانتقاء، في ضوء اهتمامه المركز بمشكلاته الخاصة، التي تؤلف سقفاً فكرياً متوحداً مع المشكلات العامة.(٧٨)

ومما جاء في السُّنة النبوية أحاديث شريفة تدل على فضل العقل وقيمته من دون استعمال هذه اللفظة، مثل: قوله ﷺ: " رفع القلم عن ثلاث: عن المجنون حتى يفيق، وعن الصبي حتى يدرك، وعن النائم حتى يستيقظ ".(٧٩)

فهذا الحديث الشريف يعفي من لا عقل له ومن كان عقله غير ناضج من تحمل المسؤولية الكاملة عن السلوك غير السوي، لأن المؤاخذ هو العاقل فقط.(٨٠)

فتتضح المنزلة العظيمة للعقل بمفهوم المخالفة، إذ إن من لا عقل له غير مكلف بالأحكام الشرعية – مرفوع عنه القلم – أما المكلف بالأحكام الشرعية فهو العاقل المدرك الواعي، والبالغ الذي نضج عقله، وما هو مسلم به أن الإنسان يتعلم ويتربى ويدرك الأشياء من حوله عن طريق العقل وهو الأساس في ذلك، فالعقل أعظم قيمة لدى الإنسان في حياته العلمية.

وكان الرسول ﷺ يدرب أصحابه على التفكير، وذلك عن طريق طرح الأسئلة عليهم، وذلك لتنمية القدرات والمهارات الفكرية لدى أصحابهم ﷺ، زيادة على ذلك إن هذه الأسئلة تعد بمثابة الأمثلة لبيان قوة المؤمنين، عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) عن النبي ﷺ قال: " إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، حدثوني ما هي ؟ قال: فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبد الله: فوقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: هي النخلة".(٨١)

فالتفكير والتأمل والإمعان وسيلة معرفة حضَّ عليها الرسول ﷺ في كثير من الأحاديث الشريفة، واهتدى على هديها المفكرون المسلمون، لما لها من قوة صفاء النفس الإنسانية وتهذيبها والسمو فيها للوصول إلى مراتب عليا في كافة العلوم.(٨٢)

والتفكير عملية عقلية تجري بوعي داخل الإنسان، تحكم نشاطه العصبي والسلوكي عن طريق وسائل المعرفة التي خلقها الله تعالى في الإنسان، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.(٨٣) فالفكر والتفكير من الوسائل الموصولة لمعرفة الخالق ﷻ، إن أحسن المسلم استعمالها.

وكان ﷺ يجمع بين ذكر الله والتفكر، ويرشد إلى أهمية ذلك في حضور القلب واستجلاب الخشوع.(٨٤)

وقد حثت السُّنة النبوية على التفكير وجعلت منزلته بمنزلة العبادة، أو أفضل من العبادة، قال رسول الله ﷺ: " تفكر ساعة خير من قيام ليلة ".(٨٥)

وقال ﷺ: " تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في الله فإنكم لن تقدروا قدره".(٨٦)

فالتفكير في آيات الله تعالى وفي بديع خلقه، وفي النظام المحكم الذي يتحرك فيه الكون، وفي القوانين الثابتة التي تتحكم في جميع الظواهر الكونية كفيل بأن يؤدي إلى الإيمان بخالق هذا الكون ومدبره، ولذلك أوصى الرسول ﷺ بالتفكير في خلق الله، ونهى عن التفكير في ذات الله، لقصور العقل الإنساني عن إدراك ما هو خارج عن

نطاق قدرته، فالله ﷻ ليس كمثله شيء، والعقل الإنساني إنما يفكر على أساس ما لديه من صور حسية مدركة من العالم المحسوس الذي يعيش فيه، وما كونه منها من مفاهيم، وما جرده منها من معانٍ كلية، فإذا حاول العقل أن يفكر فيما هو في عالم الغيب، وفي ذات الله تعالى، فإنه لا شك سيستعين في تفكيره بما لديه من صور حسية، فإذا فكر الإنسان بهذه الطريقة، في ذات الله تعالى الذي ليس كمثله شيء من العالم المحسوس، فإنه لا شك سيضل ويهلك.(٨٧)

من هنا يجب التنبيه إلى أن التفكير يحصل فيما هو في متناول الإنسان وتقع تحت حواسه مباشرة أو بالواسطة وداخل ضمن حدود تفكيره، لذلك يكون التفكير في المخلوق الذي يشكل الإنسان جزءاً منه، فالإنسان جزء محدود من مجموعة المخلوقات المحدودة فلا يستطيع التفكير فيما وراء المخلوقات ولا يقدر معرفة كنهها.(٨٨)

والسُّنة النبوية تنكر الحجر على العقول؛ لأن في ذلك امتهاناً للكرامة الإنسانية، وإماتة للشخصية الإنسانية في أكبر مظاهرها وهي الفكر، كما تعمل على محاربة العقلية الخرافية التي غالباً تصدق كل ما يقال لها، وتقبل كل ما يلقى إليها، فتنقاد لما عليه جمهور الناس صواباً كان أو خطأ.(٨٩)

ونرى ذلك واضحاً في خطبته ﷺ التي قالها للرد على ما شاع بين الناس أن الشمس كسفت بسبب موت إبراهيم ابن النبي ﷺ فحطم بخطبته تلك الخرافة التي قيلت مواساة له أو تسلية لأحزانه العظيمة، أجل لم يستشعر النبي ﷺ إلا الحقيقة العلمية في هذا الأمر الكوني، لم يلتفت إلى عزاء أو إلى معنى فيه تعظيم لشأنه ﷺ فقد استعلى على هذه الاعتبارات التي تطغى على الإنسان، وأعلن للعالم هذه الحقيقة، فقال: " إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، ولكنهما من آيات الله ".(٩٠)

في الوقت نفسه نهت السُّنة النبوية عن الخوض في الغيبيات التي لا مطمع للعقل البشري في الوصول إليها أو الحكم عليها عن طريق التجربة والمشاهدة، وذلك فيما يتعلق بالذات الإلهية وأسرار الحياة والروح وما إليها، قال رسول الله ﷺ: " تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله ".(٩١)

وقد أشاد الرسول ﷺ بالعقل الذي يقوم بوظيفة التفكير في قوله للأشجِّ: " إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والأناة ".(٩٢)

قال النووي في شرحه لهذا الحديث: " إن الحلم هو العقل، وإن الأناة هي التثبت وترك العجلة".(٩٣)

فالعقل يضفي على صاحبه من الصفات الحميدة ما يجعله محبوباً من الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام، وإن العقل يهدي صاحبه إلى الحق والخير وينأى به عن الضلال والشر، فكان رسول الله ﷺ يشجع أصحابه على التفكير والاستدلال العقلي والقياس، قال عليه الصلاة والسلام لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: " كيف تقضي إذا عرض لك قضاء ؟ فقال: أقضي بما في كتاب الله، قال: فإن لمن يكن في كتاب الله ؟ قال: فبسنة رسول الله ﷺ، قال: فإن لم يكن في سنة رسول الله ؟ قال: أجتهد برأيي ولا آلو، فضرب رسول الله ﷺ صدره وقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله ".(٩٤)

ففي هذا الحديث الشريف يوجه الرسول ﷺ أصحابه ويشجعهم على التفكير والاستدلال العقلي فيما يستجد من أمور ومشكلات الحياة مما لم يرد فيه حكم في القرآن الكريم والسنة المشرفة.

كما يوصي الرسول ﷺ الحكام بالاجتهاد بالرأي ويرغبهم في ذلك بالثواب في الآخرة، فعن عمرو بن العاص ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر ".(٩٥)

من هذا نستنتج: أنه لا نجد أي دين من الديانات الوضعية ما نجده في الدين الإسلامي من دعوة إلى التفكير السليم والمبدع، وأن الحاكم إذا اجتهد فأخطأ فإن له أجر في ذلك فيحثه الرسول ﷺ على الاجتهاد والتفكير.

المطلب الثالث: أثر أحاديث العقل والتفكر في السلوك الإنساني

تحرص السنة النبوية على سلامة العقل وتنميته وتوجيهه وحسن استثماره، تلك النعمة التي وهبها الخالق للإنسان، والتي على أساسها كرمه وميزه على بقية الكائنات الحية، لذلك ينال العقل من شخصية المسلم عناية واهتماماً كبيرين، وذلك بالغذاء المادي والغذاء المعنوي، إذ يحتاج مخ الإنسان للغذاء كبقية أجزاء الجسم للقيام بوظائفه العقلية المختلفة، كالتذكر والإدراك والتفكير والإبداع، وغيرها من العمليات العقلية، كما يحتاج العقل إلى الغذاء المعنوي لتنميته وإعماله، وذلك بالعلم والمعرفة وبالتدبر في صنع الله، وعلى قدر عناية الإسلام بتنمية العقل بالمعارف وبالعلوم المحمودة، فإنه يعنى بحمايته من كل العلوم المذمومة وهي ما لا فائدة فيها في دينٍ ولا دنيا كعلوم السحر والتنجيم، وقراءة الكف وما إلى ذلك من خرافات تحجر على العقل وتبعده عن طريق الحق والصواب، كما يعنى الإسلام بحماية العقل من كل الأفكار الهدامة، وصقله وتنويره بما يجعله في مأمن منها، وعلى قدرة للرد عليها.(٩٦)

وتسعى التربية العقلية بجميع أجهزتها وطاقاتها إلى تنمية التفكير الإنساني، وانطلاقه، وتحريره من ربقة الجهل والتقليد، وتنويره بالعبر والأحداث، وبعثه على التأمل في دقة الكون وأنظمته ليخلص بذلك إلى الإيمان بالله خالق الكون وواهب الحياة، إيمان عن تدبر، واعتقاد عن حجة، ويقين عن دليل، لتشرق بذلك عن عوامل النفس أضواء العقيدة الواعية التي تدفع الإنسان إلى التسابق في ميادين البر ومجالات الخير، ولقد عني الإسلام عناية كبيرة بالعقل، فدعا إلى انطلاقه وتفتح آفاقه، وألزم باستعماله واللجوء إلى حكمه.(٩٧)

وقد شاعت في معظم الكتابات أحكام تصف المحدثين بأنهم خصوم العقل، وبأنهم لا يهتمون إلا بالنقل، وبطبيعة الحال فمن العسير إنكار أن بعض المنتسبين إلى الحديث قد اتبعوا أساليب ساعدت على انتشار مثل هذا الوصف، مما دفع معظم الأئمة إلى تأليف كتب تؤكد على أنه لا تعارض بين النقل والعقل، ولا خصومة بين نعمتين من نعم الله، ولو تفكر أولئك الذين أهملوا وظيفة العقل في نقل نصوص بعض الأحاديث النبوية، ولو استقرأ الذين أعمّوا حكمهم على الحديث وأهله، لأدركوا أن رسول الله ﷺ كان يتبع أصولاً في نقل المعرفة وأنها أصبحت في العصور المتأخرة أساساً في التربية والسلوك الحضاري.(٩٨)

ولعل أبرز ما يمكن الإشارة إليه في هذا المجال أن معظم الأحاديث جاءت متضمنة دعوة تبين أن كل معلومة لا تستند إلى دليل وبرهان لا يمكن اعتمادها، ولا يصح أن تكون مصدراً للأحكام وللمعرفة، فقد روي عن رسول الله أنه قال: " إياكُم والظَّنّ، فإنّ الظنّ أكذبُ الحديثِ، ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا، وكُونوا عِباد الله إخْواناً ".(٩٩)

من هنا أصبح من المتفق عليه أن من أخطاء التفكير التي يقع فيها كثير من الناس إصدار الأحكام واستنتاج النتائج مع عدم توفير الأدلة الكافية التي تؤيد صحة هذه الأحكام أو الاستنتاجات، ولذلك كثيراً ما تكون أحكامهم واستنتاجاتهم خاطئة.(١٠٠)

ولأن الإسلام دين علم وتفكر وسلوك، كان من الطبيعي أن يعتمد نهجاً يقوم على التعقل، بعيداً عن الانفعالات الجامحة، ومن هنا يؤكد الرسول ﷺ للمسلمين أن معيار القوة في الشخصية الإنسانية لا ينبغي أبداً أن يعتمد على قوة العضلات الجسمية، ولكن على مدى قدرة المرء في ضبط انفعالاته والتحكم في غضبه، ولهذا يجيء قوله ﷺ : " ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب".(١٠١)

وإذا كان العلم مهماً في تنمية السلوك الإنساني، فإن الأهمَ من العلم في الحقيقة هو منهج التفكير، لأن منهج التفكير أدى إلى العلم الحقيقي، وإلى الثقافة العميقة، وإلى النظام الشامل، وإلى حسن النظر في الأمور، ومن ثَم إلى معرفة الله وتقواه.

وعندما كان المسلمون ملتزمين بالإسلام حقاً، كانوا هم أهل العلم، وأهل مناهج التفكير والتعليم، يقول أحد المفكرين الغربيين – من المنصفين – (إن أهم ما تعلمته أوربا من المسلمين في بدء نهضتها هو المنهج التجريبي في البحث العلمي، الذي بنت عليه أوربا كل تقدمها العلمي فيما بعد) ، والمنهج التجريبي في البحث العلمي هو بلا ريب نتاج الإسلام والتوجيه الإسلامي للعقل البشري، وإذا كان الإسلام هو مكتشف المنهج التجريبي، فإن له منهجاً عقلياً أيضاً، هو المنهج العقلي المتجرّد من هوى النفس المحتكم إلى شريعة الله، وهو المنهج الذي أخرج تلك الثروة الهائلة من الحديث الشريف وعلومه.(١٠٢)

والأحاديث الشريفة تبدو حاضرة في سلوك الإنسان فرداً وجماعات، وهي التي تحدد اتجاه السلوك وترسم مقوماته وتعين بنياته، وليس في وسع حرية الإنسان أن تكون حرية لا مبالاة منها مهما اختلفت الظروف والأحوال، بل إن عالم الأشياء يبدو وكأنه يظهر أمامنا في صورة نظام مبعثر، وعلى نحو موضوعي تماماً، لذا فإن هذه الأحاديث شرط كل وجود وهي مطلب ما يرغب به الإنسان، أو الهدف الذي يرغب نواله، أو التوازن الذي يسعى إلى تحقيقه.

والعقل صنو التأكيد الشخصي لوجود الإنسان في العالم، وكل معرفة مهما كانت أولية، تطابق تجربة من تجارب العقل، وأنه الكاشف الضروري الأول الذي يكشف لنا العالم.(١٠٣)

لقد جاءت السُنة النبوية الشريفة بأحاديث شريفة عدة، وإنْ كانت كلها متوافقة مع المنهج القرآني، إلا إنها كانت زاخرة بتلبية حاجات المجتمع الإسلامي، وحاجات الأفراد الذاتية والموضوعية، تصبّ كلها في خدمة ترسيم المعاني الإيمانية النبيلة، والسلوك الإنساني القويم، الذي يجب أن يسلكه المؤمنون، في مجمل تصرفاتهم وتعاملهم ليكونوا بمستوى المسؤوليات والمهمات الكبرى التي تنتظرهم.

فقد وضع رسول الله للبشرية ﷺ المنهج السلوكي الذي يرشدهم إلى خير دينهم ودنياهم، فكانت الانتصارات والفتوحات، وكان معه أصحابه الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فكان الفلاح لهم في الدنيا والآخرة، قال تعالى : ﴿مِنَ

الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾.(١٠٤) ، وفي أثناء سيرة الرسول ﷺ وسنته نجد أنها تحوي كل ما يحتاجه الإنسان في دينه ودنياه.(١٠٥)

لقد اشتملت السُّنة النبوية المتمثلة في أقوال وأفعال وتقرير الرسول ﷺ في شتى المناسبات كثيراً من المقاصد التربوية، ورسمت للفرد والأمة منهجاً سلوكياً يؤدي إلى الخير في شؤون الحياة جميعها.

فالرسول ﷺ يقدم للمربين عن طريق حياته العملية، وفي أثناء أحاديثه كثيراً من اللمحات والنظريات والمواقف ما يشكل في جملته معيناً رائعاً نستطيع أن نغترف منه الكثير في حياتنا اليومية.(١٠٦)

إن منهج السُّنة النبوية جاء لإقامة مصالح العباد، وتعريفهم بأمور دينهم، فما لم يتعلق بمصالح العباد فلا يُسوغ الاشتغال به، إنه منهج واقعي جاء يواجه وقائع الحياة بالأحكام المشتقة لها من أصول شريعة الله، مواجهة عملية واقعية عقلية، مواجهة تقدر المشكلة بحجمها وشكلها وظروفها كاملة و ملابساتها، ثم تقضي فيها بالحكم الذي يقابلها ويغطيها ويشملها وينطبق عليها انطباقاً كاملاً دقيقاً.(١٠٧)

ولئن كان القرآن الكريم المصدر النظري التعليمي التلقيني، فإن السُّنة المطهرة والسيرة الرشيدة هي المصدر العملي التطبيقي الواقعي المثالي، فجميع أحاديث النبي ﷺ وما كان من سيرته العطرة، وفي جميع المجالات والمواقف، كلها منهج عظيم في السلوك، يهدف إلى تهذيب النفس وتربيتها وصقلها ونقلها وتغييرها وتبديلها وتنقيتها وتصفيتها وتطهيرها ضمن منهج رباني لما فيه رضاء الله ﷻ ونيل السعادة في الدنيا والآخرة.(١٠٨)

وها هو الرسول ﷺ يوصي معاذ بن جبل قائلاً له: " يا معاذُ، أوصيكَ باتقاءِ الله، وصدْق الحديثِ، والوفاءِ بالعهد، وأداءِ الأمانة، وتركِ الخيانة، وحفظِ الجار، ورحمةِ اليتيم، ولينِ الكلام، وبذل السلام، وحُسن العملِ، وقصرِ الأمل ولزوم الإيمان، والتفقه في القرآنِ، وحب الآخرة، والجزع من الحساب، وخفض الجناح، وأنهاك أن تسب حكيماً، أو تكذب صادقاً، أو تطيع آثماً، أو تعصي إماماً عادلاً، أو تفسد أرضاً، وأوصيك باتقاء الله من كل حجر وشجر ومدر، وأن تحدث لكل ذنبٍ توبة، السر بالسر والعلانية بالعلانية".(١٠٩)

ويعد منهج السُّنة النبوية منهجاً شاملاً ومتكاملاً يستقصي جميع قضايا الدعوة علماً وعملاً وفكراً وسلوكاً، وعقيدة وشريعة، كما يضبط السلوك ويحكم الحركة في أثناء التعامل مع واقع الأمور وحقائق الأشياء، إنه منهج مسدد بالوحي في منطلقاته وأهدافه، وثوابته وأصوله، وأسسه ومرتكزاته، وقيمه، منهج يعلم المسلم كيف يتعامل مع الواقع

بالمعرفة العميقة والفحص الدقيق لاستقرار المناط الحقيقي ليتنزل عليه حكمه الصحيح لإصابة الحكم الشرعي المطالب به إزاء هذا الواقع.(١١٠)

والذي يتابع الطريقة التي اتبعها الرسول ﷺ في دعوته للناس يدهش كثيراً لذلك التشابه الكبير بين طريقته وطريقة التفكير السليم، فهذه الطريقة تقتضي منا إذا أردنا بحثاً أن نمحو من أنفسنا كل رأي وكل عقيدة سابقة لها في هذا البحث، وأن نبدأ بالملاحظة والتجربة، ثم الموازنة والترتيب، ثم بالاستنباط القائم على هذه المقدمات، فإذا وصلنا إلى نتيجة من ذلك، كانت نتيجة علمية خاضعة بطبيعة الحال للبحث والتمحيص، ولكنها تظل علمية، ما لم يثبت بالبحث العلمي تسرب الخطأ إلى ناحية من نواحيها، وهذه الطريقة العلمية هي أسمى ما وصلت إليه الإنسانية في سبيل تحرير الفكر.

وها هي ذي طريقة الرسول محمد صلوات الله عليه وسلامه وأساس دعوته، فكيف اقتنع الذين اتبعوه بدعوته وآمنوا بها ؟.

نزعوا من نفوسهم كل عقيدة سابقة وبدأوا يفكرون في إمامهم، ولقد كان لكل قبيلة من قبائل العرب صنم، فأي صنم هو الحق ؟ وأي صنم هو الباطل ؟ وكان في بلاد العرب وفي البلاد التي تجاورها صابئة ومجوس يعبدون النار، وكان فيها الذين يعبدون الشمس، فأي هؤلاء على الحق ؟ وأيهم على الباطل ؟ فلنترك هذا جانباً ولنمح أثره من نفوسنا، ولنتجرد من كل رأي ومن كل عقيدة سابقة، ولننظر والنظر والملاحظة بطبيعة الحال سيان، ومما لا شبهة فيه أن لكل موجود بسائر الموجودات اتصالاً، فالإنسان تتصل قبائله بعضها ببعض، وأممه بعضها ببعض، والإنسان يتصل بالحيوان والجماد، وأرضنا تتصل بالشمس وبالقمر وبسائر الأفلاك، وذلك كله يتصل في سنن مطردة لا تحويل لها ولا تبديل، لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار، ولو أن إحدى موجودات الكون تحولت أو تبدلت لتبدل ما في الكون، وفي الكون كله يجب أن نتلمس من طريق النظر والتأمل في سننه الخالدة، إذاً فما يعبد الناس من دون الله أصناماً وملوكاً وفراعنة وناراً وشمساً، إنما هو وهم باطل غير جدير بالكرامة الإنسانية ولا هو يتفق مع عقل الإنسان وما كرم به من القدرة على استنباط سنة الله من طريق النظر في خلقه.(١١١)

إن الرسول ﷺ بطريقته هذه في إقناع الناس وتعليمهم مبادئ الإسلام، إنما يقدم لنا الطريقة الصحيحة للتفكير السليم، ففي هذه الطريقة الإسلامية العلمية سموّ بالعقل الإنساني وتحطيم لقيوده.(١١٢)

إن هذا يتسق اتساقاً تاماً مع فطرة الإنسان التي فطره الله ﷻ عليها ذلك أن هذا الإنسان ليس آلة صماء تتحرك من دون أن تحركه الغرائز العمياء، والهوجاء، بل إنه إنسان مفكر عاقل، وانطلاقاً من ذلك نجد أن التربية الفكرية للإنسان ليست حشواً للذهن بالمعلومات، ولا تلقيناً ببغائياً لخبرات غيره، ولكنها صقل للحواس وتدريب لها، وفضلاً عن ذلك فهي تستهدف تشجيعها للقدرات العقلية بأن تعمل بنجاح ودقة ملاحظة وتجريب، بمعنى أن التربية الناجحة هي التي تعمل على إيقاد المصباح الذاتي فينا، أو لإثارة الدوافع النفسية للاطلاع وحل المشكلات والتفكير السليم.(١١٣)

وهذا نجده ونتلمسه واضحاً وجلياً في السنة النبوية المشرفة فأحاديثه ﷺ حضت على التفكير السليم المنطقي، ففيها إثارة للدوافع النفسية وحل المشكلات عن طريق التفكر والقياس.

ولقد درب الرسول ﷺ أصحابه على أن يستعملوا عقولهم في مواجهة المشكلات وأن يجتهدوا في ذلك – فلكل مجتهد نصيب – وألا يكونوا إمعة، ويمكن أن نسوق مثلاً لذلك:

لما ازداد عدد المسلمين وتوسعت أطراف المدينة المنورة بمن حل فيها من المهاجرين وغيرهم إلى جانب الأنصار، قامت مشكلة دينية اجتماعية، وهي كيف يمكن دعوة المسلمين إلى المسجد إذا حان وقت الصلاة ؟ فلا بد من عمل شيء.

فبدأ اجتماع رسول الله وأصحابه يتذاكرون، وبدأت الاقتراحات لحل المشكلة تتوالى، فقال بعض الصحابة: إذا حان وقت الصلاة فإننا نرفع راية في مكان مرتفع ليراها الناس، بيد أن هذا الاقتراح لم ينل قبولاً، لا من الرسول ولا من بقية الصحابة، لأنه لا يحل المشكلة، ولا يحقق الغرض المطلوب، ورفع الراية لا يوقظ النائم ولا ينبه الغافل.

وقال آخرون: نشعل ناراً على مرتفع الهضاب، وهذا اقتراح لم يلق قبولاً لسبب جوهري اجتماعي، وهو أن ذلك هو شعار المجوس عبدة النار، وينبغي للأمة الموحدة أن يكون لها شعارها المميز والخاص بها.

وأشار قوم باستخدام بوق لدعوة الناس إلى الصلاة، وهذا الاقتراح كذلك لم ينل قبولاً؛ لأن اليهود كانت تستخدم البوق، ويجب الحفاظ على شخصية الأمة من الذوبان والضياع.

واقترحت جماعة أخرى دق الناقوس، ورفض هذا الاقتراح، لأنه تقليد للنصارى والمفروض أن تكون للأمة الإسلامية ذاتيتها المميزة.

ثم أخيراً أشار بعض الصحابة بالنداء، فيقوم شخص إذا حانت الصلاة وينادي بها بكلمات إسلامية خاصة، فقبل هذا الرأي لأصالته الفكرية المؤمنة ولتحقيقه العملي للغرض المطلوب في دعوة الناس.

أما صيغة النداء فقد تواردت فيها اتفاقات، فهذا عبد الله بن زيد بن ثعلبة الأنصاري، وهو بين النائم واليقظان، إذ قال له قائل: ألا أعلمك كلمات تقولها عند النداء بالصلاة ؟ [فذكر الكلمات المعروفة في الأذان] ثم أتى عبد الله إلى النبي ﷺ ليخبره بذلك فيقول له الرسول ﷺ : " لقن بلالاً، فإنه أندى صوتاً منك " ويقوم بلال يؤذن، فلما سمعه الناس هرولوا، وفيهم عمر بن الخطاب يجر رداءه وهو يقول: يا نبي الله والذي بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذي رأى، فقال رسول الله ﷺ : الحمد لله لقد جاء الوحي بذلك ".(١١٤)

ومن مظاهر سعي رسول الله ﷺ كذلك لتنمية التفكير السليم أن دعوته استهدفت تربية وهداية تقوم على بث الوعي وندرة الاعتماد على المعجزات.

وكان الناس ينظرون إلى حوادث الفلك فيحسبونها من الآيات، فينهاهم أن يخلطوا بين حوادث الفلك وحوادث الحياة والموت، فعندما كسفت الشمس عند موت ابنه إبراهيم، قال الناس إنها كسفت لموته، فلم يمهلهم أن يسترسلوا في ظنهم وهو محزون الفؤاد على أحب أبنائه إليه، بل أنكر عليهم ذلك الظن، ورآها فرصة للتعليم ولم يرها فرصة للدعوة، فقال معقباً: " إنما الشمس والقمر آيتان من آيات الله ولا تكسفان لموت أحد...".(١١٥) وخلصت النبوة كلها لمهمتها الكبرى، وهي اعادة بناء الإنسان في تمام وعيه وادراكه، فانقطع ما بينها وبين كل صناعة أو حيلة كان يستعان بها قديماً على التأثير في العقول عن طريق الحس المخدوع.

وبدا لقريش أن تدعو محمداً إلى مجلس زعمائها، لعله يلين عما يدعوا إليه، وعرضوا عليه من جاه الدنيا وما يسيل له اللعاب، فأبى فكان منهم أن قالوا: " يا محمد فإن كنت غير قابل منا شيئاً مما عرضناه عليك، فإنك قد علمت أنه ليس أحد أضيق بلداً ولا أقل ماءً ولا أشد عيشاً منا، فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به، فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا، وليبسط لنا بلادنا، وليفجر لنا فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق، وليبعث لنا من مضى من آبائنا، وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصي بن كلاب، فإنه كان شيخ صدق، فنسألهم عما تقول، أحق هو أم باطل، فإن صدقوك وصنعت لنا ما سألناك، صدقناك وعرفنا به منزلتك من الله وأنه بعثك رسولاً كما تقول".

ورد الرسول ﷺ على مقترحاتهم: " ما بهذا بعثت إليكم، إنما جئتكم من الله بما بعثني به وقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم، فإن تقبلوه فهذا حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه علي، أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم".

قالوا: " فإذا لم تفعل هذا لنا، فخذ لنفسك، سل ربك أن يبعث معك ملكاً يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك، وسله فليجعل لك جناناً وقصوراً وكنوزاً من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغي، فإنك تقوم بالأسواق كما نقوم، وتلتمس المعاش كما نلتمسه، حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك إن كنت رسولاً كما تزعم".

وقال نبي الله كلمته: " ما أنا بفاعل وما أنا بالذي يسأل ربه هذا، وما بعثت إليكم بهذا، ولكن الله بعثني بشيراً ونذيراً، فإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم من الدنيا والآخرة، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم".(١١٦)

وربما كان الرسول ﷺ في عيشه وكفاحه أحوج إلى الاجتهاد وإعمال العقل أكثر من غيره؛ لأن النبي ﷺ – والمصلحين في المجتمع – أشد حاجه إلى رجاحة الفكر وحسن التقدير عن طريق المران العقلي، لأن ما يواجهه من مشاكل الحياة، وما يعترض طريقه من صعاب، يتطلب سرعة البتّ في حل تلك المشكلات وإزالة هذه الصعاب، ولا يكفي في سرعة البتّ هذه، حسن استعداد المرء وصفاء عقله وسلامة فطرته، فكم في الأرض ورؤوس الجبال وبطون الأودية من خصوبة عقل، وجودة طبع، قضي عليها الكسل العقلي أو قلة التجربة في معالجة الأمور.

ولأن التجربة العقلية ألزم للرسول ﷺ، وكذلك المصلح أكثر من غيره، فلا نجد بين من اختارهم الله لرسالته إلا من صهرهم الزمن وعركتهم الحوادث، فجمعوا مع صفاء الطبع وعلو الأصل وغزارة العقل، قوة الجلد، ووفرة النصب، والصبر على مصاعب الدهر، ومقارعة الخطوب.(١١٧)

ولا يكفي ليكون الرجل قائداً مصلحاً في كل ضرب من ضروب الحياة أن يكون حسن السيرة تقياً ورعاً فحسب، بل لابد أن يكون قوي الفكر، سريع البديهة، قوي الحجة، صارم العزيمة، شديد الهمة في تنفيذ الحق، فطناً كيساً، يقظاً لا يخادع.

الخاتمة

وفي مسك الختام أحمد الله وأشكره على ما وفقني من إنجاز هذا البحث على النحو الذي تم به، وأودُّ أن أبين أهم الاستنتاجات التي توصلت إليها في بحثي هذا وهي كما يأتي:

١- تكوين الإنسان القادر على الاستعمال الحكيم لعقله، وذلك عن طريق تنمية مواهبه وميوله وهواياته وسلوكه، وإتاحة الفرص العملية له.

٢- بناء الإنسان المؤمن بربه، وبأنبياء الله تعالى ورسله وملائكته، وما أنزل عليهم من كتب سماوية، وباليوم الآخر، وبقضاء الله وقدره، وبناء الشخصية المسلمة المتمسكة بتعاليم دينها، والمتخلقة بالأخلاق الفاضلة.

٣- بناء الإنسان الصحيح في سلوكه، القوي اللائق في بدنه.

٤- بناء الإنسان المتزن في سلوكه وعواطفه ونزعاته، والمطمئن بإيمانه بربه، والمستقر نفسياً، والمتكيف في نفسه ومع غيره.

٥- تربية الإنسان المسلم على أسلوب التفكير العلمي التأملي، وحب البحث والسعي وراء الحقيقة، والتعامل مع قوى الكون.

٦- ترسيخ الضمير أو السلطة الذاتية الموجودة داخل النفس، بحيث يكون هذا الضمير رقيباً أميناً على أعمال الإنسان يوجهها ويرضى عنها إذا استقامت.

٧- تمكين الإنسان من أن يقوم بدوره في هذا الكون ويحقق التوازن بين الحياتين الدنيا والآخرة، إذ يعبد الله وبجانب ذلك يشيّد ويبني ويقيم حضارة وينهض بسلوكه ويستثمر كل ما يستطيع من مصادر الطبيعة من حوله.

٨- تثقيف الإنسان سلوكياً بمعنى تربية معارفه ومهاراته واتجاهاته نحو نفسه والآخرين.

٩- إنَّ دراسة (الحديث النبوي الشريف) تُعَود المسلم على التفكير الإسلامي الإنساني العلمي، الذي يقوم على تحري النص وصحة نقله من مصدره.

١٠- تصوير السيرة النبوية للإنسان الكامل في آفاق الإنسان، إذ إن هذه الصورة التي يرسمها الحديث النبوي الشريف هي أوضح أنواع الصور إظهاراً لجوانب الكمال الإنساني، وإبرازاً لدقائق السلوك.

١١- إن السُّنة النبوية تضع القواعد والأسس والنظريات التي عن طريقها نستطيع أن نسير إلى تمام الشوط والهدف المنشود، وبذلك تتحقق الغاية الأهم في الإنسان، وهي تنشئة الفرد المسلم تنشئة سلوكية سليمة بعيدة عن الأهواء والانحرافات.

١٢- تربية الإنسان المسلم على الاستفادة مما يتعلمه، وذلك باستخلاص النتائج والتطبيق، الذي يستفيد من نتائجه في نفع نفسه ونفع مجتمعه.

١٣- المحافظة على الطاقة العقلية للإنسان وعدم شغل عقله بالتفكير في الأمور الغيبية ليتفرغ للتفكير في أمور الطبيعة المادية.

١٤- تنمية فكر الإنسان المسلم بالمحافظة على طاقات العقل وبتفريغ هذا الفكر من كل المقررات الفاسدة في العقائد السابقة، وذلك حتى ينمو هذا الفكر، ويكون الفكر الصالح لبناء الإنسان المسلم، ومن ثَم تقدم المجتمع المسلم.

وآخر دَعوانا أن الحمدُ للهِ ربِ العالمين ، وصلَّى الله على سيّدنا محمّدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ وسلَّم تسليماً كثيراً

الهوامش:

[١] لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور أبو الفضل الأفريقي المصري. ج:١١، ص:٤٥٨

[٢] المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد أبو القاسم الراغب الأصفهاني. ص:٣٤١ – ٣٤٢

[٣] إحياء علوم الدين، الإمام محمد بن محمد أبو حامد الغزالي. ج:١ ،ص:٧٥

[٤] العقل وفهم القرآن، الحارث بن أسد المحاسبي. ص:٢٠٥

[٥] التعريفات، السيد الشريف أبي الحسن علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني. ص:١٥٤

[٦] المصدر السابق، ص:١٥٥ ؛ وينظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي. ص: ١١٩٧ ؛ وينظر: الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري. ص: ٩٧ – ٩٨

[٧] الأذكياء، عبد الرحمن بن محمد بن علي أبو الفرج ابن الجوزي. ص:١٨

[٨] فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، عبد الجواد سيد بكر. ص: ١٩٩

[٩] الإنسان والعقل، نايف معروف. ص: ١١٣

[١٠] لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور أبو الفضل الأفريقي المصري. ج:٥، ص:٦٥

[١١] المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس. مادة فكر، ص: ٦٩٨

[١٢] سورة المدثر، الآيتان: ١٨–١٩

[١٣] سورة الأعراف، الآية: ١٨٤

[١٤] سورة الروم، الآية: ٨

[١٥] سورة يونس، من الآية: ٢٤

[١٦] سورة البقرة، من الآية: ٢١٩

[١٧] سورة آل عمران، الآية: ١٩١

[١٨] سورة الأعراف، من الآية: ١٧٦

[١٩] سورة الحشر، من الآية:٢١

[٢٠] مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، الشيخ شمس الدين محمد بن أبي بكر أبو عبد الله ابن القيم الجوزية. ج:١، ص:١٢٣

[٢١] التعريفات، السيد الشريف أبي الحسن علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني. ص:٦٧ ؛ وينظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي. ص:١٢٨٤ ؛ وينظر: الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري. ص:٨٨

[٢٢] معالم الطريق في عمل الروح الإسلامي، عبد الله مصطفى. ص:٢٧٣

[٢٣] دراسات في الفكر التربوي الإسلامي، عبد الرحمن صالح عبد الله. ج:٢ ،ص:٨٧

[٢٤] الإسلام مقاصده وخصائصه، محمد عقله. ص: ١٨٢

[٢٥] سورة الملك، الآية: ١٠

[٢٦] الإسلام مقاصده وخصائصه، محمد عقله. ص: ١٨٢ – ١٨٣

[٢٧] سورة الإسراء، الآية: ٧٠

[٢٨] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود أبو الفضل الآلوسي. ج:١٥ ،ص:١٧٧

[٢٩] إحياء علوم الدين، محمد بن محمد أبو حامد الغزالي. ج:١ ،ص:٧٣

[٣٠] سورة طه، من الآية: ١١٤

[٣١] رواه الطبراني في " المعجم الأوسط "، ج:٦ ،ص:٣٦٧ ، رقم الحديث (٦٦٣٦)

[٣٢] الإسلام مقاصده وخصائصه، محمد عقله. ص: ١٨٤ – ١٨٦

[٣٣] محاضرات ودروس في التربية الإسلامية، محمد علي عزب. ص: ٥٥

[٣٤] المصدر السابق، ص: ٥٦

[٣٥] فلسفة التربية في الإسلام انتماء وارتقاء، أحمد رجب الأسمر. ص: ١٥٦

[٣٦] المصدر السابق، ص: ٢٠٢

[٣٧] المصدر نفسه، ص: ٣٥٨ – ٣٥٩

[٣٨] رواه البيهقي في " شعب الإيمان " (باب فضل العقل)، ج:٤ ،ص:١٥٧ ، رقم الحديث (٤٦٤٤)

[٣٩] رواه البيهقي في " شعب الإيمان " (باب حسن الخلق)، ج:٦ ،ص:٢٥٥ ، رقم الحديث (٨٠٦١)

[٤٠] حلية الأولياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني. ج:١٠ ،ص:١٠٩ ؛ وينظر: تهذيب الكمال، يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي. ج:٥ ،ص:٢١١

[٤١] فلسفة التربية في الإسلام انتماء وارتقاء، أحمد رجب الأسمر. ص:٣٥٩ – ٣٦٠

[٤٢] ينظر: التفكير العلمي والإبداعي، لعبد الله بن عبد الرحمن البريدي. ص: ١ – ٦

[٤٣] الحياة الفكرية في ضوء الفلسفة الإسلامية، حسن الفاتح قريب الله. ص: ٧٧

[٤٤] القرآن وعلم النفس، محمد عثمان نجاتي. ص: ١٦٦

[٤٥] ينظر: المصدر نفسه، ص: ٢٠٩

[٤٦] دراسات في الفكر التربوي الإسلامي، عبد الرحمن صالح عبد الله. ج: ٢ ،ص: ٨٧

[٤٧] المصدر السابق، ج: ٢ ،ص: ٨٧ – ٨٨

[٤٨] الشمائل المحمدية، عيسى بن محمد بن سوْرَة أبو عيسى الترمذي. ص: ١٣٥

[٤٩] محاضرات ودراسات في أصول التربية الإسلامية، محمد علي عزب. ص: ٦٢ – ٦٣

[٥٠] مكانة العلم ودوره في حضارتنا بين الماضي والمستقبل، صالح أحمد العلي. ص: ١٥٤ – ١٥٥

[٥١] ينظر: معلم في تربية النفس، عبد اللطيف بن محمد الحسن. ص: ٥٧

[٥٢] الحديث النبوي وعلم النفس، محمد عثمان نجاتي. ص:١٠٦ – ١٠٧

(٥٣) منهج التربية في التصور الإسلامي، علي أحمد مدكور. ص:٣٤٢

(٥٤) دراسات في الفكر التربوي الإسلامي، عبد الرحمن صالح عبد الله. ج: ٢ ،ص: ٨٨ – ٨٩

(٥٥) رواه البخاري، في (باب الجمعة في القرى والمدن)، ج: ١، ص: ٣٠٤ ، رقم الحديث (٨٥٣)

(٥٦) رواه مسلم، في (باب تراحم المسلمين وتعاطفهم وتعاضدهم)، ج: ٤، ص: ١٩٩٩، رقم الحديث (٢٥٨٥)

(٥٧) ينظر: دراسات في الفكر التربوي الإسلامي، عبد الرحمن صالح عبد الله. ج:١ ،ص: ٦٧

(٥٨) أهداف التربية الإسلامية، ماجد عرسان الكيلاني. ص:٥٧

(٥٩) سورة الحج، من الآية: ٤٦

(٦٠) ينظر: أهداف التربية الإسلامية، ماجد عرسان الكيلاني. ص: ٥٧ – ٥٩

(٦١) رواه الترمذي، في (باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة)، ج: ٥، ص: ٥١ ، رقم الحديث (٢٦٨٧) ؛ وابن ماجه، في (باب الحكمة)، ج:٢، ص: ١٣٩٥، رقم الحديث (٤١٦٩)

(٦٢) ينظر: تدريس التربية الإسلامية الأسس النظرية والأساليب العملية، ماجد زكي الجلاد. ص: ٥٧ – ٥٨

(٦٣) فلسفة التربية مؤتلف علمي نقدي، عبد الفتاح إبراهيم تركي. ص: ١٥٣

(٦٤) من كنوز الإسلام، محمد فائز المط. ص: ١٣ – ١٤

(٦٥) تطور الفكر العلمي عند المسلمين، محمد الصادق عفيفي. ص: ٣٥

(٦٦) رواه الطبراني في " المعجم الأوسط "، ج:٥ ،ص:٧٩ ، رقم الحديث (٤٧٢٦)

(٦٧) رواه البيهقي في " شعب الإيمان"، (باب بيان مكارم الأخلاق ومعاليها)، ج: ١٠، ص: ١٩٥ ؛ والدارقطني، ج:٣ ،ص:٣٠٣ ، رقم الحديث (٢١٤)

(٦٨) رواه المناوي في " فيض القدير"، ج: ٢، ص: ٣٣٨

(٦٩) التصور العقلي، هاني عبد الرحمن مكروم. ص: ١٠

(٧٠) الحضارة الإسلامية بين أمسها الزاهر وغدها المأمول، البشير العريبي. ص: ١٦٠

(٧١) رواه البيهقي في " شعب الإيمان"، (باب فضل العقل)، ج: ٤، ص: ١٥٤ ، رقم الحديث (٤٦٣٣)

(٧٢) رواه البيهقي في " شعب الإيمان"، (باب فضل العقل)، ج: ٤، ص: ١٥٥ ، رقم الحديث (٤٦٣٨)

(٧٣) رواه البيهقي في " شعب الإيمان"، (باب فضل العقل)، ج: ٤، ص: ١٥٦ ، رقم الحديث (٤٦٤١)

(٧٤) رواه المناوي في " فيض القدير"، ج: ٥، ص: ٤٢٥

(٧٥) مقام العقل عند العرب، قدري حافظ طوقان. ص: ٢٩-٣٠

(٧٦) رواه البيهقي في " شعب الإيمان "، (باب فضل العقل)، ج:٤ ،ص:١٥٧ ، رقم الحديث (٤٦٤٤)

(٧٧) رواه البيهقي في " شعب الإيمان "، (باب فضل العقل)، ج:٤ ،ص:١٥٥ ، رقم الحديث (٤٦٣٦)

(٧٨) ينظر: دراسات في الفكر الفلسفي الإسلامي، محمد جلوب فرحان. ص: ٢٣

(٧٩) رواه النسائي، في (باب ما لا يقع طلاقه من الأزواج)، ج: ٦، ص:١٥٦ ، رقم الحديث (٣٤٣٢) ؛ والطبراني في " المعجم الأوسط "، ج: ٣، ص: ٣٦١ ، رقم الحديث (٣٤٠٣)

(٨٠) اتجاهات الفكر التربوي الإسلامي، سعيد إسماعيل علي. ص: ١٥

(٨١) رواه البخاري، في (باب فضل العلم)، ج: ١، ص: ٣٤ ، رقم الحديث (٦١) ؛ ومسلم، في (باب مثل المؤمن مثل النخلة)، ج:٤، ص: ٢١٦٤ ، رقم الحديث (٢٨١١)

(٨٢) ينظر: حقيقة المعلم والمتعلم بالفكر التربوي الإسلامي، كامل عبدوني. ص: ٦٤

(٨٣) سورة النحل، من الآية : ٧٨

(٨٤) تزكية النفس وأثرها في الدعوة إلى الله، جمال أحمد سيدو. ص: ٨٤

(٨٥) رواه البيهقي في " شعب الإيمان"، ج:١، ص: ١٣٦ ، رقم الحديث (١١٨)

(٨٦) رواه المناوي في " فيض القدير"، ج:٣، ص: ٢٦٣

(٨٧) الحديث النبوي وعلم النفس، محمد عثمان نجاتي. ص: ١٤٦

(٨٨) التفكير في الإسلام، أحمد الشيخ محمد الباليساني. ص: ٢٤

(٨٩) المدخل إلى دراسة الحديث والسُّنة، سمر العشّا. ص: ٣٢

(٩٠) رواه البخاري، في (باب لا تنكسف الشمس لموت أحد ولا لحياته)، ج: ١، ص: ٣٥٩ ، رقم الحديث (١٠٠٨) ؛ ومسلم، في (باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار) ج: ٢، ص: ٦٢٣ ، رقم الحديث (٩٠٤)

(٩١) رواه البيهقي في " شعب الإيمان" ، ج:١ ، ص:١٣٦ ، رقم الحديث (١٢٠)

(٩٢) رواه مسلم، في (باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله)، ج:١ ،ص:٤٨ ، رقم الحديث (١٧) ؛ وأبو داود، في (باب في قبلة الجسد)، ج:٤ ،ص:٣٥٧ ، رقم الحديث (٥٢٢٥)

(٩٣) شرح النووي على صحيح مسلم، محيي الدين يحيى بن شرف أبو زكريا النووي. ج:١ ،ص:١٨٩

(٩٤) رواه أبو داود، في (باب اجتهاد الرأي في القضاء)، ج: ٣ ،ص:٣٠٣ ، رقم الحديث (٣٥٩٢) ؛ والترمذي، في (باب ما جاء في القاضي كيف يقضي)، ج:٣ ،ص:٦١٦ ، رقم الحديث (١٣٢٧)

(٩٥) رواه البخاري، في (باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ)، ج: ٦ ،ص:٢٦٧٦ ، رقم الحديث (٦٩١٩)؛ ومسلم، في (باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ)، ج:٣ ،ص:١٣٤٢ ، رقم الحديث (١٧١٦)

(٩٦) ينظر: أصول التربية الإسلامية، سعيد إسماعيل القاضي. ص:٢٧-٣٠

(٩٧) النظام التربوي في الإسلام، باقر شريف القرشي. ص:٢٣٢

(٩٨) السنة النبوية رؤية تربوية، سعيد إسماعيل على. ص: ٤٠١

(٩٩) رواه البخاري، في (باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر)، ج: ٥، ص: ٢٢٥٣ ، رقم الحديث (٥٧١٧) ؛ ومسلم، في (باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوهما)، ج: ٤، ص: ١٩٨٥ ، رقم الحديث (٢٥٦٣)

(١٠٠) الحديث النبوي وعلم النفس، محمد عثمان نجاتي. ص:١٥٠

(١٠١) رواه البخاري، في (باب الحذر من الغضب) ج: ٥، ص: ٢٢٦٧ ، رقم الحديث (٥٧٦٣) ؛ ومسلم، في (باب فضل من يملك نفسه عند الغضب)، ج: ٤، ص: ٢٠١٤ ، رقم الحديث (٢٦٠٩)

(١٠٢) ينظر: منهج التربية في التصور الإسلامي، علي أحمد مدكور. ص: ٣٧٣

(١٠٣) ينظر: العمدة في فلسفة القيم، عادل العوّا. ص: ٤٠٦ – ٤٠٩

(١٠٤) سورة الأحزاب، الآية : ٢٣

(١٠٥) علم النفس في الحديث الشريف، سعد رياض. ص: ٣-٤

(١٠٦) ينظر: الأصول الإسلامية للتربية، سعيد إسماعيل علي. ص: ٢٧٩

(١٠٧) ينظر: معلم في تربية النفس، عبد اللطيف بن محمد الحسن. ص: ٥٧

(١٠٨) منهج الإسلام في تزكية النفس، محمد خير فاطمة. ص: ٤٢

(١٠٩) رواه المنذري في " الترغيب والترهيب " (كتاب التوبة والزهد) ، ج: ٤ ، ص:٥٤ ، رقم الحديث (٤٧٧٨)

(١١٠) منهج النبي ﷺ في الدعوة، محمد أمحزون. ص١١-١٢

(١١١) السنة النبوية رؤية تربوية، سعيد إسماعيل علي. ص: ٣٩٤- ٣٩٥

(١١٢) حياة محمد، محمد حسين هيكل. ص: ١٥٦-١٦٦

(١١٣) الرسول العربي المربي، عبد الحميد الهاشمي. ص:١٩٧

(١١٤) رواه أبو داود، في (باب كيف الأذان)، ج:١ ،ص:١٣٥ ، رقم الحديث (٤٩٩) ؛ وابن ماجه، في (باب وقت الصلاة في العذر والضرورة)، ج:١ ،ص: ٢٣٢ ، رقم الحديث (٧٠٦) ؛ وينظر: المنتقى لابن الجارود، عبد الله بن علي بن الجارود أبو محمد النيسابوري. ص:٤٩ ؛ وينظر: الأحاديث المختارة، أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي. ج:٩ ،ص: ٣٧٤

[١١٥] رواه البخاري، في (باب الصدقة في الكسوف)، ج:١ ،ص:٣٥٤ ، رقم الحديث (٩٩٧) ؛ ومسلم، في (باب صلاة الكسوف)، ج:٢ ،ص:٦١٨ ، رقم الحديث (٩٠١)

[١١٦] ينظر: تفسير ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير أبو الفداء الدمشقي. ج:٣ ،ص:٦٤ ؛ وينظر: تفسير الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد أبو جعفر الطبري. ج:١٥ ،ص:١٦٥ ؛ وينظر: السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام بن أيوب أبو محمد الحميري المعافري. ج:٢ ،ص:١٣٤

[١١٧] جهاد الرسول صلى الله عليه وسلم، عبد الجليل عيسى أبو النصر. ص: ٣٠

ABSTRACT

The year of the Prophet's impact on the building of human behavior, and the formation of Islamic thought, it has worked to spread knowledge in all Egypt, including his campaign to the people of the immortal legacy of prophethood calling for a love of science, it was a source of knowledge and civilization.

If the Hadith has a major in the Islamic system of the importance of, and is a learning and teaching very necessity indispensable for a Muslim to understand Islam, and to work with its provisions and legislation, it is spring generous, and a rich source of the Islamic nation, a permanent tender, and a renewed benefit, which is not a source of legislation and language, but is source to guide thought and guide behavior, and the modern-Sharif and clear the importance of the integration of Islam, and show aspects of human integration in the personality of Prophet r, and the Muslims are interested in talking - collected and codification - and made of effort into it for centuries have been unable description for penis and his statement.

Efforts still need to further link the texts of revelation and Nahil of sense, though the study of theories of the mind and thinking of the finest studies in the fields of scientific research, to achieve greater than rooting and reference to the extent, and in order to focus on the most important, and to give each command amount of legitimate, and interest on texts as much attention to it.

It is a reflection product of the Muslim mind in general cosmic knowledge, that relate to pantheist society and human, which expresses the jurisprudence of that mind in trying to move the divine revelation of sleep latency to the state of movement and change, construction in the establishment of the Islamic civilization on the basis of Islam itself in the context of asset controls to the Book of Allah and the Sunnah of the Prophet r.

Although reflection process that began humanitarian liberalization of the internal content of the man himself to deal with him, because he sees that the human granting freedom not to be told it in this way may Okhlinah you interpreted in peace, but man becomes free to the fact that while he can control the way, and retains his humanity opinion in determine the way and drawing features and trends, and this depends on human liberation intellectually, which is the basis of the total coup, which creates great historical process and is due to the emergence of constructing the history and civilizations.